الثقافة

AL-THAQAFA

الإدارة : ٩ شارع الشيخ ريحان بعابدين — القاهرة — التليفون رقم : ٤٢٩٩٢ / ٥٦٧٦٩٩

العدد ٢٣٤ الثلاثاء ١٩ من جمادى الثانية سنة ١٣٦٢ — ٢٢ من يوليه سنة ١٩٤٣ السنة الخامسة

فهرس العـــــدد

صفحة		
٩	الكومنتلن	للدكتور محمد عوض محمد
٥	ماء الكبر ، وقصة دولة المعجزة تحقق	أحمد زكي بك ...
٩	سيطرة الشك وسعادة الأرض	الاستاذ ع ج ... ...
١٠	الشيخ رفاعة الطهطاوي ...	أحمد أمين بك
١٤	صور من	للأستاذ شفيق جبري ...
١٦	تربية الشرير	للدكتور محمد مندور ...
١٨	جاء	« عبد اللطيف حمزة
٢٢	سيرة أحمد بن طولون ...	للأديب السيد أحمد صقر
٢٤	قضية الشباب	... ...
٢٤	مصدى الوحدة [قصيدة]	للأديب بلند الحيدري ...

الغـــاء الكومنترن

للدكتور محمد عوض محمد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إذا قسمنا العالم إلى وحدات سياسية ، تفصل ما بينها حدود واضحة العالم كأنها جدران تحيط بكل وحدة من جميع أطرافها ، فإن تقسيمنا هذا يسمى تقسيما رأسيا ، لأن كل حد من الحدود بمثابة حائط قائم ، يعزل كل وحدة عن جارتها ، ويجعل لها وجودا مستقلا . وكثيرا ما تكون هذه الحدود حقيقة كالحائط المنيع ، كما هي الحال في جبال البرانس بين فرنسا وإسبانيا . ولكن سواء أوجدت تلك الجدران الطبيعية ، أو أقيمت مكانها حدود فاصلة من نوع آخر ، فإن العالم في كل حال ينقسم تقسيما رأسيا ، يعزل كل دولة في داخل حيز معروف ، وفي داخل حدود واضحة .

ولكن كل دولة تشتمل على طبقات بعضها فوق بعض ، وهذا النظام الطبقي ، يقسم كل دولة تقسيما أفقيا . سواء أكان هذا التقسيم قائما على الثروة والمال ، أو على الجاه والسلطان ، أو على العلم والعرفان . ومن ثم جاز للناس أن يتحدثوا عن طبقة السادة والسوقة والأحرار والعبيد ، والعلماء والجهال . وأصحاب الأعمال والعمال . ولقد ذهب بعض الشعوب في هذا التقسيم الأفقي مدى بعيدا بأن ألزمت كل فرد أن يزاول مهنة أبيه ، وأن يظل هكذا في طبقته فلا يبرحها ، ولا يخترق الفاصل الطبقي ، والاخرج على العرف والدين والتقاليد .

وهذه الطبقات في داخل كل أمة ليست متشابهة تماما للطبقات في كل أمة أخرى ، ولكن هناك تشابها كبيرا في التقسيم الطبقي بين كثير من الأمم ، وهذا التشابه واضح كل الوضوح بوجه خاص في الأمم الكبيرة التي تمتاز بها العصور الحديثة .

ووجود أقسام أو طبقات متشابهة في كثير من الدول كان من شأنه أن خلق تقسيما أفقيا في العالم ، وأخذ

الناس يتحدثون عن طبقات الحكام ، وطبقات العمال ، وطبقات العلماء وغير ذلك من الاصطلاحات ، التي تنظم العالم كله ، وتصرف النظر فيها عن الحدود السياسية التي تفصل بين الدول .

ولم يكن يدعو على مدى الزمن من أن تترك هذه الأقسام المتشابهة ما بينها من الروابط وأن تسعى في أن يتصل بعضها ببعض ، وأن يشملها نوع من التنظيم المشترك . وقد ساعدت سهولة النقل وسرعة السفر بالوسائل الحديثة ، على الاتصال بين هذه الطبقات . وكانت الطوائف العليا أسرع الطبقات إلى التآخي ، أو على الأقل إلى التظاهر بمظهر الإخاء . فقد كان ملوك أوربا في الأزمنة الحديثة ، يخاطبون بها أخي ، أو — في أحوال شاذة — يا ابن عمي . ولم تلبث بعد ذلك الجماعات الأخرى أن أخذ بعضها يتصل بالبعض ، ويلتقي أصحاب الطرق الواحدة أو الأغراض المتشابهة ، صرفاً في كل مصر ، أو في كل بلد ، أو ثلاثة ، فيأتمرون في شئونهم ، التي يعتبرونها أن وفد إلى بلده ، لكي يسعى في تنفيذ ما اتفق عليه المؤتمرون

والعادة أن يكون قوام النظام الدولي لكل طبقة شيئين : أولها مؤتمر دولي يجتمع في دورات منظمة ، والثاني مكتب دولي له مقر ثابت في مكان من الأمكنة ، وتعمل فيه سكرتيرية دائمة ، هي حلقة الاتصال بين الجماعات المشتركة في هذا النشاط الدولي الخاص .

وسيقول قائل إن هذه الأقسام الأفقية الدولية تضر بالاستقلال القومي ، وتنقص منه نقصاً شديداً . ولكن هذا يتوقف إلى حد كبير على نوع الطائفة ونزاعها . فإن اتحاد الشعراء مثلاً إذا اجتمع كل عام لكي ينظر في الوزن والقافية ، وما يجوز للشاعر دون الناثر ، لا يمكن أن يضر بالاستقلال السياسي ضرراً بليغاً .

والاتحاد الدولي للجرد نعمة من أكبر النعم على جميع سكان العالم . وإذا حد من استقلال أمة بأن منعها من البيت بريد أية دولة أخرى . فإن في هذا خيراً كثيراً للجميع .

والمذهب الكاثوليكي هو من غير شك من النظم الدولية ، لأنه يخترق الحدود السياسية في العالم القديم والجديد . ولا بد لكل حكومة تريد أن تضطهد هذا المذهب ، أن تدرك أنها بعملها هذا تخرج شعوب حكومات وشعوب عديدة . ومثل هذا يقال أيضاً عن اليهود المنتشرين في جميع أنحاء العالم .

وصلوة القول إن هذا النشاط الدولي لطوائف عديدة ، يخترق نظامها الحدود السياسية ، لن يكون له أدنى ضرر باستقلال أية دولة ذات نظام داخلي متين . وفوق هذا فإن هذا النشاط كان خير وسيلة لتنظيم الصلات والروابط بين الأمم وإزالة ما بينها من الخلافات ، لو تركت وأمرها لكانت طوائف وخيمة .

* * *

والكومنترن مظهر من مظاهر هذا النشاط الدولي ، الذي يخترق الحدود السياسية . ولفظ كومنترن اختصار لكلمتين كوموست (شيوعي) وانترناسيونال (دولي) ، أي الرابطة الشيوعية الدولية ، وهي الهيئة التي حاربت ألمانيا بعداوتها ، وألفت « اتحاداً » من بضع دول لمناهضتها ، والتي طلبت روسيا في الشهر الماضي من الشركين فيها إلغاءها .

والكومنترن يدعى أيضاً باسم « الهيئة الدولية الثالثة » . وقد سبقتها هيئة أولى وثانية ، وهي كلها ذات صبغة اشتراكية أو شيوعية ، وقوامها الطبقات العاملة التي تشتغل في المصانع ، وقد أضيف إليها بعد ذلك طبقة الفلاحين .

وقد تأسست الهيئة الدولية الأولى في عام ١٨٦٤ ، بتأثير التعاليم الصادرة من كارل ماركس وإنجلس . وكان

كلاهما من أعضائها العاملين . ولكن الجو لم يكن ملائماً لإنشاء مثل تلك الهيئة . وطبقات العمال لم تبلغ الرتبة التي تمكنها من تنظيم مثل تلك الحركة . ولذلك سارت سيرة عرجاء منذ إنشائها ، إلى أن طويت في عالم النسيان ، بعد إنشائها بعشر سنين .

وأسست الدولية الثانية عام ١٨٨٩ ، بعد وفاة الأولى بخمسة عشر عاماً . وكانت خليطاً من العناصر الاشتراكية والشيوعية ، ولكن تغلب عليها الصفة الأولى . وكانت أحزاب العمال والجماعات الاشتراكية قد أخذت تظهر في كثير من دول أوربا وتتألف منها أحزاب سياسية منظمة .

وازدادت الدولية الثانية قوة ونشاطاً حتى كان من بين أعضاء مكتبها في عام ١٩١٤ أشخاص عظماء مثل لينين ، وإبرت الذي صار رئيس الجمهورية الألمانية بعد الحرب العالمية الأولى . وستانلي الذي أصبح فيما بعد رئيس حكومة السويد ، ومرمي مكدونالد الذي صار رئيس الحكومة البريطانية نفسها . وقد عنيت هذه الهيئة بالدعاية للاشتراكية والسياسة الدولية ، وبالعمل على منع الحروب ، ولكن النزعات القومية تغلبت عليها ، واشتعلت الحرب العالمية الأولى بالرغم منها . وجمدت الحركة جموداً تاماً في أثناء تلك الحرب .

ولكنها عادت إلى الانتعاش مرة أخرى بعد الحرب ، وعظمت صفوفها ، وزادها قوة ظهور هيئة جديدة ، وهي الكومنترن (أو الدولية الثالثة) .

وهناك فرق كبير بين الثانية والثالثة في المبادئ والأغراض والأساليب . فإن الحركة الدولية الثانية تلتمس الوصول إلى أغراضها بالوسائل المشروعة ، وبالتعاون مع الحكومات القائمة ، وتميل إلى النظم البرلمانية الديمقراطية .

أما الحركة الدولية الثالثة ، فإن ظهورها يرجع إلى تدهور الحكم القيصري في روسيا ، ولأن قادة الحكم في ألمانيا رأوا من المصلحة أن يسمحوا لكل من لينين وتروتسكي أن يذهبا إلى روسيا ، لكي يتوليا تنظيم الثورة الجديدة في روسيا .

وكان لينين قبل ذلك من الأشخاص البارزين في الحركة الدولية الثانية ، وكان يقود جماعة مستقلة ذات نزعة شيوعية ، وكان يرجو أن يوفق إلى تحويل الحركة الدولية الثانية إلى هيئة شيوعية من غير حاجة إلى خلق هيئة جديدة . فلما خاب التوفيق في هذا اضطر إلى تأسيس الدولية الثالثة (الكومنترن) في موسكو في شهر مارس سنة ١٩١٩ ، حيث أنشئ لها مكتب خاص لإدارتها والإشراف عليها .

كان الكومنترن إذن عبارة عن نظام دولي مركزه — ولو مؤقتاً — موسكو ، يجمع الأحزاب الشيوعية في جميع الدول ، ويضع لها النظم ويرسم لها الخطط ، ويراقب تنفيذها مراقبة دقيقة .

وبهذا انفصل الكومنترن عن كل هيئة دولية أخرى لا هيئة مركزها غير أجزاؤها في كل أمر ذي خطر — بالأوامر التي تتلقاها من المركز الرئيسي في موسكو ، الخاضع من غير شك لتأثير الحكومة الروسية . وهكذا ظهرت في العالم السياسي ظاهرة جديدة . وهي هيئة خاضعة لإحدى الحكومات ، تصدر تعليمات إلى رعايا حكومة أخرى . ومن أجل هذا اضطرت بعض الحكومات إلى تحريم الجمعيات الشيوعية بتاتاً .

وقد استغلت الدعاية الألمانية هذه الحالة أشد استغلال وأسرفت في التنديد بالحكومة الروسية ، وبمن يصادقها أو يتحالف معها . ورأت حكومة موسكو أن تسد هذا الباب في وجه الدعاية الألمانية ، فقررت إلغاء الكومنترن وطلبت من الأحزاب المشتركة فيه في جميع الدول أن توافق على هذا الإلغاء ، فقبلت بالإجماع ، وزالت الدولية الثالثة من الوجود .

والحقيقة أن الدعاية الألمانية ضد الشيوعية الدولية .

كانت دائماً غاية فارغة لا تقوم على أساس متين ، وذلك لسببين :

أولهما : أن النشاط الدولى الروسى قد هدأ منذ تولى ستالين حكم روسيا .

ثانيهما : أن النظام الشيوعى فى روسيا قد أصبح ملطفاً ، واتخذ صورة أقرب إلى الاشتراكية ، والرأسمالية الحكومية .

فإن ستالين لم يكد يتولى الحكم فى روسيا ، حتى نشأ نزاع بينه وبين تروتسكى ، فالأخير كان لا يزال يحلم بنظام عالمى ، ونشاط يتناول جميع طبقات العمال فى العالم . أما ستالين ، فكان ينظر إلى الأمور نظرة قومية . ورأى أن أول واجب على حكومة روسيا أن تعنى بروسيا وبالشعب الروسى وأن فى موارد روسيا الواسعة ما لو أحسن استغلاله لأصبحت به من أغنى الدول وأكثرها رفاهية ورخاء . لهذا كف قادة روسيا عن التحدث عن نظام شيوعى عالمى ، ووجهوا كل عنايتهم إلى ترقية الصناعة وتحسين وسائل النقل ، وإنشاء المشروعات الضخمة ، التى تدر غلات تزداد عاماً بعد عام .

أما أن المبادئ الشيوعية نفسها قد عدلت تعديلاً جوهرياً ، فإن هذا ما شهد به كثير ممن درسوا الحياة من كثب فى روسيا ، وحسبنا هنا أن نستشهد بما جاء فى كتاب المستر ديفز رئيس الوفد الأمريكى إلى موسكو . حيث يقول : « ليس من شك فى أن قادة الحكومة الروسية قد اضطروا لأن يعدلوا عن المبدأ الشيوعى بأن يكون الأجر على قدر الحاجة ، إلى المبدأ القديم القاضى بأن يكون الأجر على قدر العمل والجهود . وهذه الحالة تسود النظام الحالى كله ... وهكذا نرى أن النظرية التى ترمى إلى خلق شعب يتألف كله من طبقة واحدة ، قد أخذت تتلاشى بالتدريج . فالحكومة نفسها عبارة عن نظام بيروقراطى يشتمل على جميع الرتب ، والميزات الملحقة بكل رتبة ، مثل ارتفاع مستوى المعيشة وما شاكل ذلك . والكتاب ورجال الفن لهم مجرات عديدة ، ويتمتعون بكثير من المتع التى لا يمكن إحرازها إلا بفضل من المال .

وعضوية الحزب تجعل لصاحبها مكاناً ممتازاً وتلحقه بطبقة ممتازة . وفى الصناعة أخذ نظام الطبقات يظهر بوضوح ، وزداد ظهوراً على مدى الزمن بسبب النظام الذى يقضى بزيادة الأجر لزيادة الإنتاج . فترتب على هذا أن طبقة من العمال أصبحت تعيش عيشة أرغد وتسكن فى منازل أرحب من غيرها ، وصارت فى الواقع طبقة ممتازة بين طبقات العمال .

ومثل هذا يقال عن الجيش ، فقد دعت إليه رتبه الجديدة ، وأصبح عبارة عن طبقات بعضها فوق بعض ، ولكل منها امتيازاتها وشاراتها ورتبها الخاصة بها .

وبرغم هذا كله فإن حكومة روسيا الحالية قد عدلت تماماً عن فكرة الشيوعية والثورة الدولية ، واتجهت جهودها كلها إلى تنمية الروح القومية ، وأخذت تقوم بدعاية قوية فى هذا السبيل » .

هذا قليل من كثير مما ذكره المستر ديفز عن هذا الموضوع فى كتابه « بعثة إلى موسكو » وهو رجل دقيق الملاحظة ، شديد العطف على روسيا . ومن كلامه هذا يتضح أن روسيا لم تكن شديدة التمسك بالكوملترن ، بل لعلها كانت تنتظر الفرصة المواتية للتخلص من هيئة ، لم تفدها فائدة كبيرة ، ولعلها جرت عليها كثيراً من المضايقات . وبهذا الإلغاء أثبتت أنها لا تنوى أن يكون لها أدنى صلة بالشئون القومية الداخلية ، أو بأى نظام من النظم السياسية فى أى بلد من البلاد .

محمد عوض محمد

كفاح المـــوت

زهير الدكتور احمد زكي بك

داء السكر، وقصة دوائه

المعجزة تتحقق

وصل الفاتح : طبيب جراح شاب يكتب بحثه « بنتنج » واستاذه بالجامعة يدعى « ماكلود » . فعد يطلع الآن الأستاذ الطبيب الثالث عشرة كلمات ، وكتابة أسابيع ، ومتاعب أيضاً ، كل هذا ليمسن صدق نظريته . أما نظريته فهي : السكرياس ، وهو غدة في المعدة ، « وتوجد من الخلايا خلايا كثيرة تفرز عصارتها بقناة حسب أنها في الأمعاء . ويهمهم القيام بها وهي تسمى العصارة الهضمية ، وخلايا أخرى صغيرة ، تسمى بالخلايا الثرية ، أو خلايا تفرز هرمون ومكانتها ، فهذه خلايا غنية جداً حسب الخلايا ، وهذه السكر وهي ليس لها قناة وإنما تصب [illegible] وظن أنه إذا ربط قناة السكرياس [illegible] فأفسد الخلايا السكرية التي تفرز هذه الهرمونات ، وإذا تعرض خلايا الخلايا الصغرى فقط [illegible] السر الخطي ، فيها الإفراز المجهول الذي يقي من الإصابة من داء السكر . إذاً فهو سيستخرج هذا السر من هذه الخلايا ليمسن أثره في الكلاب المرضى بالسكر .

والآن اقرأ :

وأراد « بنتنج » أن يُطلق عيادته ، وأن يترك التدريس في الجامعة ، وأن يحرق سمعته حتى لا يكون إلا البحر من ورائه فلا يستطيع أن يعود ولو سنوات نفسه إليه العودة . أراد أن يفرغ لبحثه ، ولبحثه وحده ، فلا يشغله عنه شاغل . هكذا قال للجراح الكبير « استار » Star . ولكنّ « استار » ، وصديقيه « جال » Collip و« روبرتسن » Robertson ، والأستاذ الكريم « هندرسن » ، كلّ أولئك ظنوا به مساً من جنون لتضييعه مستقبلاً في الجراحة كان قد بدأ يزهر أو هو كاد .

ونصحوه بالعودة إلى عيادته ، إلى مدينة لندن بأنتاريو ، وبأن يقضي بها بقية العام ، فعسى تبرح فكرته في داء السكر والسكرياس ، وعندئذ يُطلق جدوله ويبسط حاسته . قال « بنتنج » : « فمن أجل ذلك رجعت إلى لندن » .

ولكنّ فكرته لم تبرح ، ولكنّ جدوله لم تطلق . بل على النقيض من ذلك زادت كلاهما احتراراً وزادتا احتداماً طول الشتاء الذي أمضاه هناك . واستولى بالفكر رأسه ، وضاق بالأمل صدره . ولم يكن لديه في تلك البلدة من وسائل التجربة حيوان واحد . ولم تكن لديه حتى أنبوبة اختبار واحدة ، ولم يكن لديه معمل كائناً ما كان . فانصرف إلى القراءة ثم القراءة ثم القراءة ، يقرأ عن داء السكر وعن السكرياس ، ومن خيبة الأكثر من البحثات فيما حاولوه من تغذية مرضاهم عادة هذه الغدة ، أو حقنهم بها ، وقد أشرفوا على الموت إشراقاً . لم يقع أولئك [illegible] السكرياس ، ولا حقنة السكرياس ، فكان [illegible] . وعهود صاحبنا كان لا يزال [illegible] في التفكير في هذا الأمر ، وفيه وحده . أما عيادته فلم يكن به من رغبة في إحيائها . ولمست عيناه من القراءة فقام يطلب الرسم والتصوير بالزيت ليروّح عن نفسه بين القراءة والقراءة . ولم يكن يعرف عن هذا الرسم شيئاً . ولم يكن إلى جانبه أحد يرشده . فأخذ يصوّر بالزيت بريشة لم تصنع إلا للتصوير بالماء ... أطلروه ، فهو لم يكن يعرف فرقاً ما بينهما . ولم يكن من يهديه ، ومع هذا ظلّ يرسم .

وطلع نجس اليوم السادس عشر من مايو عام ١٩٢١ فوجد « بنتنج » قائماً يطلب ما يطلب العلماء من عزلة ، يجده قائماً في حجرة صغيرة حقيرة قذرة مكونة في المبنى العلمي بطرز شطو ، وقد اغتصب قسمه للبحث العلمي ، دون إذن ودون أجر ، وكان يدع ما احتوته عيادته من أثاث ، وما احتوته من أجهزة وأدوات ، فضمن من هذا البيع رزقه

إلى أن يقضى لله أمرا كان مفعولا .

كان منظرا مُغريا مضحكا حقا . هذا « بنتنج » قائم إلى منضدة معمل يحاول إجراء التجارب وهو لم يتمرس بذه قط في تجربة ، ومع هذا كان يؤمن إيمان العجائز أن تحت ذلك السقف ينتحل حيا عقدة من عُقَد الطب الكبرى ، عقدة داء السكر . ولم يكن معمله غير ما شغلته تلك العقدة من كل مكان ، فسائر المعمل — سائر هذه الحجرة الصغيرة الحقيرة — كان يشغله كيميائيون يعملون محق اليوم الراتب . وكان لديه كل ما وعده « مكلود » : عشرة كلاب وثمانية أسابيع يَحُلُّ فيها تلك العقدة الطبية الكبرى ، ومساعد واحد يعينه على حلها . ولم يكن هذا المساعد طبيبا ، ولكن طالبَ طب ، شابا في الحادية والعشرين من عمره .

وكان اسم هذا المساعد شارلس بست Charles H. Best ، روعي في اختياره أنه يحذق تقدير السكر بالطرق الكيميائية ، في ولو ما قدر سكر دم كلاب مصابة بالسكر ، أو في دمائها . وكان « بست » يعرف من أكبيات (Dog) التي ربط قنواتها ، وانتظر انفجار بنكرياسها ، فوجد البنكرياس في كليهما على حجمه الأول ، لم يصبه أي انتقاص . خيبة مؤلمة ! ولم يبق من الأسابيع الثمانية غير أسبوع !

كان « بنتنج » رجلا من أولئك الرجال الذين لا تردهم الأزمات إلا إلحاحا . فما وجد ما وجد حتى أخذ الشرط يقع بين أصابعه الحاذقة وهو يحول به دهاءا وحيلة في بطن أحد الكلبين ، ومن فوق مشرطه عينُه تشرف قريبةً على مواضع القطع ، وهو يقطع ثم يقطع ثم يقطع حول تلك القناة البنكرياسية التي ظن أنه ربطها فأسكر ربطها .

ألا ما أغفله وما أضاه ! لقد كشف من تلك القناة فوجد أنه ربطها فوق ما كان يجب ! وإذن تعثرت . ثم تحلب العمل منها ثم أخذت الطبيعة تصنع قناة جديدة استار Starr ، فشق الكلب بعد الكلب ، وأجرى أصابعه في بطنه إجراء خبير ، ثم خاط البطون . ونجحت العمليات نجاحا كان في ظاهره باهرا . وشُفيت الكلاب وعادت إلى الحياة . وجاء اليوم السادس من يوليو ، وقد مضى سبعة من الأسابيع الثمانية . فلا بد أن تكون بنكرياسات هذه الكلاب قد انصرمت ربط قنواتها ، لا بد أن تكون خلاياها ذات الإفراز الهاضم قد تقلصت ، قد ماتت . ولا بد أن تكون خلاياها الجزائرية ، خلايا لنجر هنس ، تلك الخلايا التي زعم « بنتنج » أنها تفرز في الدم هرمونا يُبين الجسم على حرق سكّره ، لا بد أن تكون هذه الخلايا ظلّت سليمة صحيحة لم يَمَسّها سوء . وإذن لم يبق إلا أن يستخرج تلك الخلايا الصحيحة الخالصة فيحقنها في كلاب مريضة بالسكر ، أمرضَ فيها هو اصطناعا بنزع بنكرياسها . وكانت تلك الكلاب الأخرى حاضرة بوضعه للسكر .

وكان [illegible] شق « بنتنج » بطن كلبين من السكر ، أو في دمائها . وكان « بست » يعرف من أكبيات (Dog) التي ربط قنواتها ، وانتظر انفجار بنكرياسها ، فوجد البنكرياس في كليهما على حجمه الأول ، لم يصبه أي انتقاص . خيبة مؤلمة ! ولم يبق من الأسابيع الثمانية غير أسبوع !

كان « بنتنج » رجلا من أولئك الرجال الذين لا تردهم الأزمات إلا إلحاحا . فما وجد ما وجد حتى أخذ الشرط يقع بين أصابعه الحاذقة وهو يحول به دهاءا وحيلة في بطن أحد الكلبين ، ومن فوق مشرطه عينُه تشرف قريبةً على مواضع القطع ، وهو يقطع ثم يقطع ثم يقطع حول تلك القناة البنكرياسية التي ظن أنه ربطها فأسكر ربطها .

ألا ما أغفله وما أضاه ! لقد كشف من تلك القناة فوجد أنه ربطها فوق ما كان يجب ! وإذن تعثرت . ثم تحلب العمل منها ثم أخذت الطبيعة تصنع قناة جديدة

إلى جانب الأخرى القديمة ..... ولم يبق من الوقت غير أسبوع .

وأخذ الرجلان يصعدان ثم يعاودان النزول من معملهما الصغير على سُلَّم طويل لفّاف إلى غرفة صغيرة أخرى أجريا فيها العمليات للكلاب ، ولم يكن لهذه الغرفة من نافذة ، ولم يكن لها منفذ للضياء غير منوّر في السقف قذر مُهشّم ، زاد ما نفذ من جوّه إلى الغرفة على ما نفذ من ضيائه . فلى هذه الغرفة ، وفى أجوائها الخانق ، وعلى العرق الجارى فوق وجهيهما ، فتحا بعد عدتين الكلبين يطوّن ما بقى من الكلاب . ورق له بارق من أمل . نعم إنّ أكثر هذه الكلاب لم يصغر بنكرياسه . ولكن بعضها صغر بنكرياسه حتى عزّ على الجراح إعادته . إذن فهو انضمر حقاً . ولكن لا بد لهما من التأكد هذا المرة وإذن فقد أخذا يربطان القنوات من جديد ، ويربطانها فى ثلاثة مواضع ، على درجات من الشد ثلاث مختلفة . فكل رابط أرخى من أخيه . ثم خاطا الكلاب ، وعادا ينتظران من جديد ، والخبر قائم غير راجح .

* * *

وأخيراً جاءت الفرصة الكبرى لاختبار فكرته .

الساعة العاشرة من صبيحة السابع والعشرين من مايو . وبالطبع كانت الثمانية الأسابيع التى طلبها « بنتنج » قد مضت وتولت من زمن بعيد . وتوقف بالطبع الأجر الذى كان يؤجره « بيشت » من أبيه ، فلم يكن له طريق للعيش إلا أن يقترض من « بنتنج » . ودفع بنتنج عن رضا ، فلم يكن فى وسع شىء أو مقدور طاقة أن تحول بينه الآن وبين حرمانه . وكان الأستاذ « مكلود » قد سافر إلى أوروبا منذ أسابيع ، سافر بعد أن بدأ هذه التجارب بقليل . ومما يُشكر لمكلود أنه لم يكتب فيأمر « بنتنج » أن يتوقف وقد فرغت أسابيعه الثمانية ، بل تركه يجاهد وحده . وعلى الله وحده كيف جاهد .

فى صبيحة هذا اليوم كان كلب مسكين ، قليل اللحم يبين العظم ، راقدا على منضدة العمل ، وقد أشرف على الهلاك . وهو كلب كان « بنتنج » قد نزع بنكرياسه منذ تسعة أيام ، فأخذ الكلب يهبط إلى منتهاه سريعاً . وفى تلك الأيام التسعة كان « بنتنج » يقوم باستخراج شىء من دم هذا الكلب ، وإلى جانبه « بيشت » يقدّر بحماره الكيميائى كم من السكر فى هذا الدم ، ثم يعاود الاستخراج ويعاود التقدير ، ومقدار السكر فى الدم يرتفع يوماً بعد يوم ، حتى صار الكلب غير قادر أن ينتصب قائماً . ولم يعد يقدر على البصبصة بذنبه عندما جاءه هذا اليوم . وكان به عطش شديد ، وكان به جوع كافر . كان تماماً كالرجل أصيب بداء السكر إصابة بالغة . كان لا بنكرياس له ، فلم يكن فى جسمه ما يحرق سكّر طعامه . وأعطياه فى اليوم السابق سكر عنب فى ماء ، ولكنّ شيئاً من هذا السكر لم يستقر فى أنسجته ، وخرج ما تكون إلى ما يشبهها ، إلى حرق لا فى ذرة أنسجته .

فى صبيحة هذا اليوم كان هذا الكلب يوشك أن يموت . ولمعت عينه فكانت كالزجاج . وأراد رفع رأسه وهو راقد على المنضدة ، فما كاد أن يرفعها . وكان إلى جانبه كلب آخر فيه الحياة ، وفيه الخركة والنشاط . فهذا الكلب الثانى أحد الكلاب الذى كان ربط « بنتنج » قناة بنكرياسها ، واشتغل منذ أسابيع ، والآن ..

ثم والآن يقوم « بنتنج » إلى هذا الكلب الصحيح السليم ، فيشجه ، وتعبق رائحة البنج فى المكان فتموج النفس لها . ثم هو يفتح بطن هذا الكلب الصحيح السليم ، ثم يضع يده فى بطنه ، يبحث عن بنكرياسه ، فيجده ، فيستخرجه ، ثم يدور بالمشرط حتيناً لطيفاً حوله ، أو حول ما بقى منه ، فيخلّصه من الجسم تخليصاً .

أى والله ! لقد انضمر هذا البنكرياس حقاً ، وتقلّص . لقد صغُر حتى صار كالإبهام أو أقل حجماً . وعندئذ لا تسمع

إلا أنقاض الكلب الأول ، الكلب المريض الذي أوشك أن يقتله داء السكر ، وإلا صوت « بنتنج » وصوت « بست » ، يتلقان الكلم القصير في إبهام واقتضاب ، وإلا مس الفولاذ للفولاذ . وأخيراً عمد تلك القطعة الصغيرة المتقلصة المتصرة ، تلك القطعة التي كانت تدعى من قبل سكرياساً ، تحدها في هدوء ، قد برئت وأندملت حتى صارت جلداً .

ويقوم « بست » فيقطعها ويهشمها ، ويصب عليها قليلا من ماء علم ، ويصبه بارداً ، ثم يدكها فيه ، ويسحقها حتى تصير حساءاً ، ثم هو يرشح هذا الحساء من ورقة للترشيح ، ثم يدفئ السائل الراشح حتى يكون في درجة حرارة الجسم ، ثم يأتي بمحقن فيمتص هذا السائل فيه .

وتلمح بريق الأدوات من معدنية وزجاجية في أيدي الرجلين ، ثم ترى « بنتنج » وقد أخذ يحقن بورقة الكلب المريض الذي قتله السكر أو كاد ، ويبدو المحقن ، المحقن الذي حوى ذلك السر الرجو ، ثم إذا هو يرشح السائل في ورقة ترشيح هذا الكلب ، وقد حلق بين الموت والحياة .

وتمر ساعة وكأنها دقيقة ، و « بست » قائم على جهازه الكيميائي يتحين دم هذا الكلب آناً بعد آن ، ثم هو يرفع عينه المتعبة من الجهاز ، ويقوم من ظهره وقد جمده طول الانحناء ، ثم هو ينادي : « بنتنج ! بنتنج ! إن سكر هذا الكلب قد هبط هبوطاً كبيراً . إنه هبط إلى صفر ، شرطة ، واحد ... » ، ومعنى هذا أنه بلغ حد السكر في الكلاب الصحيحة ، أو كاد .

وكان « بنتنج » في الغرفة العليا ، مع الكلب في حجرة التشريح ، وما كان به حاجة إلى نداء « بست » ، وإلى خبر ما جرى للسكر في دم هذا الكلب . فالكلب هذا أمامه يشهد له بالذي وقع . فهذا الكلب الذي عجز من ساعة عن رفع رأسه ليسلم به الماء ليسلم به حلقه الذي جف حتى تحلل ، هذا الكلب يرفع الآن رأسه ، وينظر إلى « بنتنج » ، « وبنتنج » يستقبل في جلسته ليحدق فيه ثم يحدق . ومضت ساعة ، فوقف الكلب على أرجله . ساعة مضت كلمح البصر لم يحس بمرورها صاحبنا ، فقد كان في ذهول مما جرى . كان في شبه غيبوبة ، كان في شبه الثناء من سعادة غريبة . والكلب ينظر إليه وكان حقه أن يكون قد مات . ولكنه ينظر ، ويصبص بذنبه ، ويمشي . ثم يمشي ولو في غير اتزان كامل .

وعلى السلم الملتف ترى « بست » صاعداً هابطاً بين حجرة التشريح والمعمل ، يحمل بول هذا الكلب الذي حار والعجب يغمر السكر فيه ، وقد جرى عرقه صبيباً ، وهو لا يحس بهذا العرق ولا يتصبه . فإذا وجد « بست » من عمله وجد أن هذا الكلب الذي كان يشرب [illegible] السكر في الماء ، فيجري في جسمه حيث يجري الماء ، ثم يخرج منه إلى البول كما هو سكراً في ماء ، هذا الكلب يشرب الآن السكر فيحبسه جسمه لينتفع به فلا يعود يجري في بوله ، حيث لا يكاد يصدق ، وتمضي خمس ساعات على تعاطيه السكر فينعدم السكر في بول الكلب أو يكاد . فقص السكر خمساً وسبعين مرة عن مقداره بالأمس في مثل تلك الساعة من تعاطيه . كل هذا و « بنتنج » قائم في الغرفة العليا إلى جانب الكلب يتأمله والكلب في دوره ينظر إليه بعين متعبة ، وهو يصبص له بذنبه ويود أن يقول له : شكراً يا سيدي شكراً .

تحققت المعجزة أخيراً .

ولكن مهلا . فقد انطوى اليوم وهذا صباح غده ، فإذا بالكلب قد مات ! وكيف مات ؟ فلم هذا موعده المقبل الآتي .

(يتبع) **احمد زكي**

نظرات في التربية النفسية :

سعادة الكلب وسعادة الأرنب

وقفت في ظل الوادي أتطلع إلى سفح الجبل المشوش من بعيد . وأجد الخالق الذي أودع في هذا الصخر الصلد كل ما يترقرق على صفحته من بهاء وجمال . وإذا غطتان سوداوان تنحدران من قمة الجبل نحوي . لم أتبينهما أول الأمر ولكنهما كانتا تقتربان ...

إنهما أرنب وكلب . . . . الأرنب ينطلق في عدو الخفيف كأنه السهم الريش . والكلب من خلفه يهوي كأنه حجر صخر حطه السيل من قمة . وليس يرى الناظر إليهما إلا أنهما حيوانان يجريان . ولكن الفرق بينهما في الواقع هائل عظيم ... فما أبعد ما بين الوثب الذي يندفع بكل منهما إلى هذا العدو السريع !

إن أحدهما تغمره السعادة . والآخر [illegible]

فالكلب يجري وراء الأمل الذي [illegible] والأرنب يجري فراراً من الشر الوبيل !

أحدهما طامح طامع فهو لذلك سعيد . والآخر خائف واجف فهو لذلك شقي !

لم تستمر هذه الطاردة إلا لحظات ثم تبدل الموقف ...

فالأرنب كان قد لاذ بجحره فاستقر فيه وهو يلهث . وجلس الكلب بباب الجحر باسطاً ذراعيه وهو كذلك يلهث . ولكن ما أوسع الفرق بين ما يخفق به قلب كل منهما من أحاسيس ؟ ! .

إن الأرنب الآن يخفق قلبه بالهناءة والسعادة لأنه بعد أن سلم قد أمنه الله من خوفه . أما الكلب فينبض دمه بالحسرة والتعاسة لأن أمله ضاع . ولأن رجاءه خاب !

إلى طرفي هذه الحال فوجدت فيها لونين من السعادة . أحدهما سعادة يتذوقها من أخفق به الجهد فجمح في الأعلاء منه . والآخر سعادة يعرفها من يضع نصب عينيه أملاً منشوداً فهو يعمل على تحقيقه .

وهذا اللون الأخير من السعادة هو اللون الجدير بالإنسان المتكامل !

ولكن انظر ماذا يفعل رجال الأخلاق والتربية إذا صادفهم مثل هذا المنظر . إنهم يلوحون بعصاهم في الفضاء صائحين : « هذا عدوان أثيم ! » ويحدثون بذلك من نشاط « الكلب » ليفسحوا السبيل أمام « الأرنب » .

وهذا هو الخطأ المشترك الذي يقع فيه معظم الآباء ورجال التربية مع أطفالهم الصغار حين يحدون من نشاط « النزعات الكلبية » في نفوسهم ليفسحوا السبيل أمام « النزعات الأرنبية » أو بعبارة أخرى حين يوجهونهم إلى نشدان السعادة في الخلاص السلبي . ويحذرونهم من التماسها في الاقتحام الصاعد — حين يلقنونهم « سعادة الأرنب » الخنوع ويمنعونهم من ممارسة « سعادة الكلب » الطموح : إن سر النجاح في تربية النشء هي تحبيذ « الأرنب » في نفس الطفل . وتربية الفتان « الكلب » . وإن نظام التربية الذي [illegible] جزئية من جزئياته على التخويف والإرهاب هو نظام غير جدير بأن يحمل اسمه . لأن السعادة الحقيقية — التي هي غاية الحياة — لا يمكن أن تكون في الدعة . والأمن . والحياة الميسرة . ولكنها تكون في السعي . والطموح . والتشوف ؛ إنها لا تكون في « الحصول » على الأشياء . ولكن في « تحصيلها » . وهي ليست في قبض اليد على أغراض الحياة . ولكن في بسطها لإدراك هذه الأغراض ! والفرق بين خريجي المدرستين ظاهر . فالمدرسة الأرنبية شعارها « التحية » وأملها « النجاة » . والمدرسة الأخرى شعارها « الإقدام » وأملها « الظفر » .

هذا أحدث ما انتهى إليه أعلام التربية النفسية في تقدير الأخدال السعادة . أفلا نراه على ترويعنا مثالاً فذاً لبث السلوك القديم :

خب السلامة للمرء عزم صامته على العالي ويقرى الرء بالكسل

ح . ج

الشيخ رفاعة الطهطاوى

مؤسس النهضة العلمية الحديثة

— ٥ —

من يظن أن « حارة شبت » كما يسميها العوام ، أو « فندق شبرد » كما يسميه المتعلمون اليوم هو الذى كان مدرسة الألسن ، حيث كان الشيخ رفاعة ومساعدوه وتلاميذه يحضرون الخيرة الأولى للنهضة العلمية والأدبية .

ومن يظن وهو يمر الآن على هذا المنزل أن له تاريخاً طويلا ، وأن قد تقلبت عليه أوضاع شتى فتداول عليه الجد والهزل ، واحتله الأرستقراطية والبرجوازية ، وكان أحياناً حرماً آمناً لا يستطيع أن يقربه أحد ، ثم كان كمرج بابل يرطن فيه بالفرنسية والإنجليزية والعربية والتركية ، وتدوى فى أرجائه الآن بوق الجاز ، ثم أصبح مثابة لمكاتب أرستقراطى ، وبه مقر [illegible] أحد بك الدفتردار زوج الأميرة [illegible] على باشا ، ثم مدرسة للألسن ، ثم [illegible] الإنجليز ، ثم صار فندقاً لمن يشاء ، وهكذا الأماكن « تشقى كما تشقى الرجال وتسعد » ، فهذا البهو الفسيح كان يغط فيه الشيخ رفاعة وحوله الطلبة يعرضون عليه متاعهم الثمين ، وأحياناً يخلط فيهم فيجلجل صوته ، ثم كان يجلجل فيه صوت الجارنبر وقص على نغماته مهجهو الشبان ، مع الغيد الحسان .

* * *

سافر الشيخ إلى الأقاليم يفتش فى المكاتب عن نجباء التلاميذ يختار منهم من يصلح ليكونوا تلاميذ لمدرسة الألسن ، وكان قد انتشرت هذه المكاتب فى الأرياف وأسست على نظام جديد فيه شىء من الثقافة الدينية كالحساب وما إليه ، وسميت « مكاتب الأرياف الأميرية » ، وبلغ عدد طلبتها خمسة عشر ألفاً ، اختار « الشيخ » منهم خمسين ، ولكن لوحظ أن أكثر من اختارهم من الصعيد ، فهل كان هذا « محسوبية » من الشيخ وعصبية لأهل بلده وإقليمه ؟ قد يكون ذلك ، فالمحسوبية داء قديم ، وكما يصح أن يفسر هذا التفسير السيئ يصح أن يفسر تفسيراً نبيلا ، وهو أن إقبال الناس على تعليم أبنائهم كان ضعيفاً ، وكثير ممن تعلموا فى تلك العصر تعلموا بالإكراه ، وكان من يؤخذ ليتعلم يودع بالصياح والعويل ، كما يودع من قبيل فى الجندية اليوم ، وقد يقبل الناس أن يعلموا أبناءهم فى مكاتب بلادهم ، أما أن يسافروا إلى مصر بعيدين من أعلامهم ولا يعرفون عاقبة أمرهم ، فهذا ما لا يقبلون ، والشيخ رفاعة صعيدى له فى قومه جاه ، وله فى بلده وما حولها حسن سمعة ، والناس طائعون أن يسلموا أولادهم له ، وليس له من هذه الوجاهة فى الوجه البحرى ما له فى الوجه القبلى ، فهذا علة كثرة الصعايدة فى الدفعة الأولى من التلاميذ بمدرسة الألسن ، حتى إن الطلبة الذين إلى هذه المدرسة رأينا التلاميذ من الأقاليم المختلفة لا فرق بين صعيدهم وبحريهم .

خمسون تلميذاً داخلية فى مدرسة الألسن ، يأكلون ويشربون ويلبسون وينامون ويتعلمون على حساب الدولة ، ومعهم ثلاثة مدرسين فرنسيين ومدرسون من علماء الأزهر لتدريس اللغة العربية ، ومدرسون للمواد الأخرى وعلى رأسهم الشيخ رفاعة .

ليس من السهل إنشاء مدرسة كهذه ، فهى تستلب مثالا كل لا تتحقق : طلبة يأتون من الأرياف « بعمائمهم » ، لم يروا إلا زرعهم وضرعهم وبينهم التواضع الذى تنام فيه الخاموس والبقر بجوارهم ، وفيهم الترويح وله أولاد ، وفيهم من لم يبلغ الحلم ، يدخلون لجأة هذا القصر المنيف ، ويراد منهم أن يعيشوا عيشة نظامية لطيفة ويجلسون أمام مسيو « بتير » يتعلمون منه الفرنسية ! يا لها من معجزة ! والشيخ على الفرقل الأصفرى يخلع عذاره ويشمر ويتوضأ ، ويخلع جبته ويفرشها على الأرض ويصلى

الظهر في حجرة واحدة مع مسيو « ديرون » .

وأحمد عبيد الطحطاوي الطالب في المدرسة يعيش على أرض الحجرة المصنوعة من « الباركيه » — عقليات عتيقة في الطلبة ، وعقلية متبرمة في الأساتذة ، ويطلب من كل هذه العناصر المتناقضة أن تكون وحدة .

لا بأس ، فالشيخ رفاعة قادر على كل ذلك ، وقادر بهذه الأدوار كلها وبحرب عقليتها ، فهو مستطيع مواجهتها ومعالجتها ، هو ملتقى العقليات المختلفة والثقافات الاجتماعية المتباينة .

فحرب أمر الشيخ في المدرسة — وزقة الدكتور جيدة لا قلق ، وزقة قلة النوم ، وزقة الطبع المرح الذي يستطيب النكتة ويضحك لها من أعماق قلبه ويشارك في صنعها ، بكل ذلك ملأ هو المدرسة ، هو أب رحيم لكل الطلبة ، وأخ كريم لكل الأساتذة — هو جركه دائماً لا يتعب عيناه ولا جرس ، يحلو له أحياناً أن يصطحب معه بعد العشاء أو في تلك الليل الأساتذة والطلبة في إقبال على التحصيل ، والأساتذة في إقبال على الترجمة .

مؤاذا نال الطلبة فعلاً لا بأس ، من العربية والعربية صنعهم على الترجمة ، ولكن لا يترجمون موضوعات تكتب في كراساتهم ثم تطرح ، بل إلى كتب نافعة يترجمون منها ما استطاعوا ، فإذا وقفوا في فهم جملة أو لم يستطيعوا ترجمتها رجعوا إلى الشيخ فساعدهم ، ثم عرضوا ما ترجموا على أستاذ اللغة العربية يصحح لهم ، وخاصة الشيخ محمد عطية العدوي ، فقد كان ساعد الأمن في هذه المدرسة بعض ما منح من قدرة على التفريس ملكة سهلة ، وعبارة فصيحة وعبرة الفائقة على تصحيح عبارات الطلبة فيما يترجمون . فإذا أنجزوا الكتاب أو الكتب رجعت ثم قدمت إلى المطبعة لتطبع ، فتكون أثراً خالداً .

وأنت يا أبا السعود أفندي ترجمت لنا هذا الكتاب وتمثله « نظر الآلي في السلوك ، فيمن حكم فرقتنا من الملوك » . وأنت يا خليفة أفندي محمود ترجم لنا « إتحاف ملوك الزمان في تاريخ شارلكان » ، فإذا فرغت منه فترجم « المشرق في المنطق » ، وأنت يا محمد أفندي مصطفى البيبلاوي ترجم لنا « مطالع الشموس في وقائع كرومس » ملك السويد ، وأنت يا أحمد أفندي عبيد ترجم لنا « الروض الأزهر في تاريخ بطرس الأكبر » وهكذا .

واتجهوا ما يقوله هذا الأخير في كتابه ، لأنه يدل على منهج العمل : « كتب تحت إرشاد مدير مدرسة الألسن ، المؤيد برعاية الملك البيبي ، السيد رفاعة أفندي ، فأجاد ويبي كتبيري ، حتى حسن حلمي وحيري ، وتعلمت بإرشاده اللغتين الفرنساوية والعربية ... فبعد أن رأى في التعليم حسن حلمي ، واجتهادي في نيل العالي من أمثالي ، اقتضى رأيه المؤيد ، وعزمه المعتمد ، أن أترجم كتاباً من كتب التاريخ ، [illegible] من ملوك الإفرنج تعلو همته على الريح ، وهو تاريخ لويس الأكبر ، الذي فتحه أشهر من أن يذكر ، [illegible] الذي يعد من أكابرهم أعظم [illegible] الأمان بعد الهجمة ، جاء الغرب [illegible] ، وأم منوال ، وقد شرعت في نقله من الفرنساوية إلى العربية ، مع إعانته لي في حل مشكلاته ، وما عسر علي من فرائده ومعضلاته ... وقد صرفت في ترجمته على معونته الهمة ، وسهرت في مطالعته وفهمه الليالي المظلمة ... مع ما يضاف إلى ذلك من كون هذا التاريخ مشحوناً من التواريخ السياسية الشجوية والوقائع والحوادث البولتيقية ، ومؤلفه من أكابر المتضلعين من الجيسوية ، ومن عظماء فصحاء الدولة الفرنساوية ، ولا أقول مع ذلك إنه خلي من الخلل ، أو عري من الخطل ، فإن ذلك ليس في طاقة الإنسان ، الخاضع في اعتقاده لعروض النسيان » .

وبعد صدور تحرجت هذه اللغة الأولى ، فتهيأت مصر منها عدوها لم تشهده من قبل ، شباب متعلم لغة عربية ولغة أجنبية ، ومثقف ثقافة أدبية — جغرافية وتاريخية وكل ذلك تعلمه في مصر لا في أوربا ، وبذلك تلتقيهم المصالح المختلفة التي تحتاج إلى هذا النمط من الموظفين ،

فكنت ترى — فيما بعد — هؤلاء المتخرجين في الدفعة الأولى، يشغلون مناصب هامة مختلفة، هذا عبد الله افندي أبو السعود أكبر رجال الترجمة في مصر، ومدرس التاريخ العام بدار العلوم، وهذا محمد افندي عبد الرازق كاتب سر الحضرة الخديوية، وهذا شحاتة عيسى افندي وقد تخصص بعد في العلوم الرياضية والحربية، وكان ناظر مدرسة أركان حرب، وهذا أحمد عبد افندي وكيل مجلس التجارة بالمنوفية، وهذا حسين فهمي افندي وكيل السكك الحديدية للأقطار الصعيدية، وهذا السيد عثمان الخويري القاضي، وهذا مصطفى رضوان مدرس اللغة الفرنسية بمدرسة الطب، إلخ إلخ، ولو رأيتهم يوم دخلوا المدرسة بملابسهم وسحناتهم ورأيتهم يوم خرجوا بعد سنوات قلائل، لأخذك العجب كل مأخذ، ولوقفت حيراء، والشيخ واقف!

وقد استفاد هو نفسه من هذه التجربة الأولى، فأخذ يصلح الأخطاء ويوسع الاختصاص ويوزع العمل.

وألحقت بمدرسة الألسن [illegible] بالدخول بها خلال أبناء الكتاتيب، [illegible] الأزهر، [illegible] من الفتيات التي تدرس فيها، [illegible] بلغ من فيها مائة وخمسين طالباً، وألحقت بالمدرسة فروع مختلفة، مدرسة فقه وشريعة إسلامية يدرس بها القانون الفرنساوي والفقه الإسلامي، ومدرسة محاسبة ومدرسة إدارة أوربية، وكل هذه المدارس يسوسها ويديرها الشيخ رفاعة، ويحل المصريين أساتذة محل الأوربيين.

سبع عشرة سنة يعمل في هذه المدارس كالنحلة لا تكل، وأمور إدارية، وقيام بترجمة كتب، وإشراف على ما يترجمه غيره، وفي كل حين يُعهد إليه عمل آخر جديد، فيعهد إليه بإدارة الوقائع المصرية، والسكة الأوربية، ويحرن عموم المدارس، ويفتش على المدارس، ويشرف على الامتحانات العامة في آخر السنة، ويحرر الخطب لمعلميها — حتى كوّن جيلاً جديداً هو — من غير شك — أكبر جمهوره ونتيجة إخلاصه، وتتبع وجه مصر من الناحية العلمية والأدبية، فكانت ما ألفه وترجمه هو وتلاميذه بين مطبوع ومخطوط — عدا ألفي كتاب من غير مهمتنا، وعماد ثقافتنا، بدون له رجال الأدب ما كوّن لهم من أمثال إبراهيم بك مروزي الناظر الأثر المشهور، ومحمد عثمان جلال صاحب العيون اليواقظ ومترجم قصص لافونتين، وفيون وروبنسون إلخ، وصالح مجدي، ويدين له رجال القانون بما أخرج لهم من أمثال فهمي باشا مقنن الشريعة الإسلامية بكتبه الأحوال الشخصية، وقانون العدل والإنصاف، ومرشد الحيران، ويدين له الرياضيون بأمثال محمد بك النبهي وتآليفه في الحساب والهندسة، إلى ما لا يحصى من رجال الفكر في كل فرع من فروع العلم.

* * *

وهذه الأشياء، فهو ناجح في عمله، والولاة مغلوبون على أمرهم يقدرون جهده، والشيخ يتولى عليه، فكان قدم للأمة [illegible] أن يتجرأ أن يعارض أولي الأمر إلا أن يتجرأ أثناء أعمى [illegible] آخر من زعماء كتاب متطرفين [illegible] ورفع صوته إلى [illegible] الأزهر، وسلخه ٢٥٠ فداناً في [illegible] الشهر، [illegible] إلى [illegible] إلى [illegible] إلى

ما ذا طبخ اليوم ؟

السيد — والله لا أدري . أطبخ بذنجانا ؟

الطاهي — الله — يعم ما ذا كانت . إنه لذيذ الطعم ، جيد الهضم .

السيد — ولكنه يتعب معدتي .

الطاهي — صدقت ! ما أثقله ، وما أعسر هضمه ، وما أقل فائدته .

السيد — يا رجل ! إنك من لحظة تمدحه وتقر بفائدته !

الطاهي — بمع يا سيدي — أنا جلبتك أو خادم اسمه بخيت ؟

كذلك تم هؤلاء ترغية الوالي في إقفال المدارس ، فاستطاعوا أن يجدوا ألف دليل على ضرر العلم وضرر التعليم وطغوا في الشيخ رفاعة بأنه قليل الفائدة ، عقيم الثمرة .

وإذا الأمر يصدر بنفيه إلى الخرطوم تحت سلطان مدرسة ابتدائية هناك وتعيينه مدرسا فيها ، وبعد بالتعليم الخصوصي عليهم ولا للمعلمين ، ولم يكن [illegible] هو شأننا اليوم ، تقبل الوظيفة أو ترفضها [illegible] قبل الوظيفة أو يبقى إلى أسبوع من [illegible]

النفي في الخرطوم بعد باريس ، ولم تكن الخرطوم كما نعهدها اليوم ، أطلالا شوارع ، ورجال مساكن ، ومدينة رائعة ، إنما كانت مدينة صغيرة لا عناية فيها بالصحة ، ولا وسائل مترفة للعيش ، وهو أقفر مدرسة ابتدائية في السودان بعد أن كان ناظر التعليم كله في مصر ، وكل يوم تخطف الموت أحد معلميه ، حتى لم يبق إلا بعضهم أو أقل ، والشيخ يستغيث ولا مغيث ، فيبقى طليقا في فضاء الاستغاثة ، يستغيث أولا بالأمراء ، وإذا فشل استغاث بالأولياء والأنبياء ، هاهو يستغيث — أولا — بحسن باشا كتخدا ، فيقول قصيدة من ستة وثلاثين بيتا ، يصف فيها الوباء فيقول :

مهابل الفصائل خادمونى ... وهل في حريمهم كفء خوادي
وأجرأت قولهم إذ موهوه ... على تربيه ذوي الصادي
قياس مدارس — قالوا — عقيم ... عسير فما النتيجة من بعادي

ويعجب كيف يقوم أمر بمثل هذه الأعمال ، ثم يجازى منى هذا الجزاء .

على عدد التوار مبغض إلى ... بي يعنون سيئ أو جهاد
وملطمون بشيء وهو عدل ... ومنتسكو بقر بلا فادي
ومتروكو قراع قراب درسي ... قد اقتر مواسغابة كل صادي
ولا لسان بأرض كشمس ... ظاهرة الغر على حمادي

* * *

رحلت بصفقة المغبون عنها ... وعيني في سواها في الرقاد
وما السودان قط مقام مثلي ... ولا لسلماني وجه ولا سعادي

ويعود في قصيدة فرقة أولاده :

وقد فارقت أطفالا صغارا ... طيفاء لا لعزوتي واعتمادي
أعلم فيهم سرا وجهرا ... ولا تحرى بطيب ولا رقادي
أرى [illegible] ... مواجدي ويطمع في عنادي

وكان الشيخ [illegible] ، فجاء وضع القصيدة على [illegible]

[illegible] ... ولكن لا جناه لي [illegible]

[illegible] أجد بخمس قصيدة لسيدي [illegible] الرسم الذي في وضع الذي نظمها

حق الفراق لصبر دمعه ودمه
حيران توحيده الذكرى وتشدمه

يقول فيها :

« رفاعة » يشتكي من عصبة سخرت
لما رأت أثر العرفان فيه وحرت
فارفع ظلامة نفس عد فيك ادخرت
وهاك جوهر أبيات بك افتخرت
جاءت إليك تخط الذنب ذنبه

أربع سنوات في السودان كانت عليه كسني يوسف ، ومع هذا حرم فيها نعمة نفيك ، وصدق مدرسته بعض أبناء السودان ، وأبناء الوطنيين من المصريين ، وكانت مدرسته نواة لما أنشئ بعد من مدارس ، ولم يفده من نكبته إلا موت خاص وتولى سعيد . (يتبع) **أحمد أمين**

صورتان

خلوت من أيام إلى طائفة من الشعراء ، فسمعت جملاً من هواجس صدورهم ، وفي هذه الصورة استطاعت أن أخلص بعض الشيء من عالم المادة الذي نقاسي همومه ، إلى عالم المعنى الذي تفلت عليه من شدة هذا الهموم ، ولست أشك في أن هذا العالم ، العالم المعنوي إنما هو عزلة معطاء تعطي فيه نفس الإنسان فتطرح عنها ما ألب عليها من الشجون ، وما لصق بها من الهموم ، ثم تخرج من معطفها صافية ، نقية ، مستعدة لاستقبال مصاعب الحياة ، وقادرة على احتمال متاعبها .

والشعراء الذين أخلو إليهم في أقل أحاديثه تمضي من حين إلى حين لا يكثر عددهم ، وهم يسيرون من حين ولا من أمة واحدة ، فلكل منهم [illegible] أمة من أمم الفن ، وعالم الشعر من هذه [illegible] ، وإن [illegible] من هذه الزوايا ، مستقلة لهذا الشعر .

* * *

هبط شوقي دمشق الشام سنة ١٩٢٥ ، فأجلب النظر في قصيدته الدمشقية ، وفي جملتها هذه الأبيات :

والحور في دُعَص أو حول عاسمها
حور كواشف عن ساق وولدان
وربوة الوادي جلباب راقصة الساق كاسية والنحر عريان

إني لم أشأ بعد قراءة هذين البيتين أن أنظر في فن شوقي أو في أمته ، ولا أن أبحث من مجاسن هذا الفن أو عن مساوئه ، وإنما أردت أن أرى من وراء هذا الشعر روح صاحبه ، أردت أن أجلس إلى شوقي نفسه ، هل يعلم القارئ الكريم أن دُعَص والعاسمة والربوة التي ورد ذكرها في البيتين إنما هي من جملة منتزهات دمشق ، لقد رقصت عين شوقي على شجر الحور في هذه المنتزهات ، وشاءت هذه العين أن تفتش لها عن شيء تشبهه به هذا الحور ، ووقفت عينه على وادي الربوة ، وشاءت هذه العين أن تفتش لها عن شيء تشبهه به فتحيّر هذا الوادي ، فلم يجد شوقي شبهاً لشجر الحور إلا الحور الكواشف عن ساقين ، ولم يجد شبهاً لمنحنى وادي الربوة إلا جلباب راقصة من الراقصات ، ساقها كاسية ، ونحرها عريان !

هذا هو العالم الذي ينعم به شوقي ، فكل واحد منا يرى الصور الظاهرة ، فترتسم هذه الصور في أعماق نفسه ، فهي واحدة في لونها وهيأتها ، ولكننا إذا أردنا أن نخرجها من نفوسنا ، ونعرضها على غيرنا ، فلكل واحد منا مذهب في تصويرها وعرضها ، وفي هذا المقام يختلف [illegible] ، لقد رأى كثير منا الحور [illegible] شوقي ، ورأى كثير منا في الربوة التي نحن فيها [illegible] ، وربما أطل أو جعل بيال واحد منا أن هذا الحور [illegible] من ساقين ، أو أن هذه الربوة [illegible] ونحرها عريان ، فلكل واحد منا يعرض على غيره الصور التي ترتسم في صدره على شكل [illegible] ، بحسب مزاجه أو ميوله أو ثقافته أو غذائه أو غير ذلك من العوامل ، فإذا جعل شوقي الحور والراقصات مادة لفنه !

لقد ذاق شوقي لذة الدنيا ، وتقلب في أطراف نعيمها وضرب في مجاسن بلدانها ، فزار فرنسا التي أوتيت الطبيعة فيها سحرها وألقت عليها حسنها ، فلثم من عيونها ، وضرب من عيون مائها ، واستنشق نسيمها ، وجلس إلى نهرها وملأ نظره من حسورها . وهذه الحور على نحو ما وصفهن لنا متزغلات من النعم ، راويات من السرور ، عابثات من الدلال ، ناعصات من الغرور ، ناعمات ، طيبات العرف ، ذاهلات عن الزمان ، مشرفات على العجوز والهالك ، وقضى شوقي ليالي في فرنسا ماذرى عشاءها من فجرها لولا صياح الديك !

هذا هو العالم الذي عاش فيه شوقي ، فلا يعرف السر في تشبيه حور مصر بالحور ، وصفق الربوة بالرقصات إلا إذا عرفنا هذا العالم الذي تقلب فيه وملأ نفسه من سحره ومن فتنته ، فصور هذا العالم ماثلة في ذهنه ، قائمة في صدره ، شاغلة لقلبه ، فهي مادة لفنه ، مادة لاستعاراته وتشبيهاته ومجازاته وكناياته ، فإذا عرض علينا صورة من الصور الراسخة في أعماق نفسه فسرعان ما نلتمس بهذه الصور المعروضة آثار العالم الذي عاش فيه وتعرفه !

وبعد أن خطرت لي شوقي ساعة من الزمن ، خطرت إلى شاعر آخر ، من طراز آخر ، لقد جعل شوقي يبني الطبيعة وبين الحور والرقصات صلة مستهلكة ، فما هي الصلة التي خلقها المتنبي في مثل هذه الأشياء ؟

عدم المتنبي طبيعة ونزهة على شوقي ، ولكن ما أبعد الفرق بين الصور التي تختلج في قلبه وبين الصور التي تختلج في قلب شوقي . [illegible] طبيعة مشهورة ، لا أعلم بين أن [illegible] أذكر منها كلمة أبيات :

والموج مثل العجوز مرتدية ... نهداً جهيماً وما بها قطم
والطير فوق الحباب تحسبها ... فرسان ألق تحوبها الحجر
كأنها والرياح تغمرها ... جيش على إعجابه مهزوم

ما أبعد هذه الدنيا التي عاش فيها المتنبي عن الدنيا التي عاش فيها شوقي ، عاش المتنبي في عالم الخيل والسلاح والفرسان والجيوش ، عاش في ميادين الحروب ، فقد يستطيع أن يجد شبهاً للطير والموج في عالم الرقص ، لحركات الموج وحركات الطير فوق الماء ليست ببعيدة عن بعض حركات الرقص ، ولكن ما للمتنبي وما للرقص ، عاش المتنبي في عالم تجرت فيه جماجم العرب ، وبلبت على هذه الجماجم ممالكة عاتية وهي ممالكة بني حمدان ، فلا تكاد صور الجيوش تفارق ذهنه ، لقد نشأ في البادية على رؤية هذه الصور ، وعاشها في شبابه ، فإذا رأى الطير فوق الحباب حسبها فرسان خيل ألق ، وإذا رأى الرياح تضرب الطير ، ظن أن في الجو حرباً بينهما ، جيش هازم وجيش منهزم ، لم تكن الطبيعة في نظره عالماً يأنس فيه بالنساء ، وإنما كانت عالماً أنس فيه بالدماء !

خلق المتنبي لدينا المعارك والمغازي ولم يخلق لدينا السارح والرقص ، فأول ما فتح عينيه فتحهما على البادية وهي ميادين القتال الأعراب ، ثم فتحهما على حروب سيف الدولة وشهد بعض هذه الحروب بنفسه ، فعلقت صور الحروب مختلجة في صدره في كل حياته ، فهي مادة فنه ، وبعد السر في أنه إذا رأى الموج رأى من وراء هذا الموج خيولاً مزبدة ، وإذا رأى الطير والرياح ، رأى من وراء هذا الطير وهذه الرياح جيشاً وفي !

أما من شعر المتنبي هذا الشعر الكبير ، فلسنا في شوق إلى الحروب وأخبارها ، وحسبنا هذه الحروب التي [illegible] ، ولكن لما طرحت الديوانين بين [illegible] شوقي ودیوان المتنبي ، خطرت بالي [illegible] أن [illegible] أساتذة الأدب ، وأرجو أن نرى في شعر شعرائنا وفي كتابة كتابنا شيئاً غير الفن وغير اللغة ، إن مصادر هذا الشعر وهذه الكتابة إنما هي آثار طفقة ظاهر على كل واحد منها روح صاحبه وفكره وعاطفته ، فإن وراء هذه المصادر أشخاصاً ينطقون ويشعرون ، فإذا خالطنا مصادرهم الأدبية وما زجناها أمطنا بطواهرهم وواتصلنا بأسرارهم وأنغامهم ، عرفنا أذواقهم وقلدناها إلى أمزجتهم ، وعلمنا لماذا يسرح خيال في دنيا النساء ويسرح خيال في دنيا الدماء ؟

شكري فيصل

تكون الطبعة المكبرة ٢٢٤ صفحة سنة ١٩٤٣ بعناية ١٩/٥/٩٤٣ تحقيق علي عبد الحكيم عبد الصمد مطبعة الأمم لاله تسهيل ثمن وخزانة ٢٠٠ جنيه والمصاحبة وذلك ليعد قبلها بسعر الزهد من السعرة .

حول الأدب المرموس :

ترنيمة السرير

أرسل الأستاذ عزيز وصفت كلمة إلى «الثقافة» عن نسبة «ترنيمة السرير» إلى «ابن عربشاه» ، وهو مؤرخ أديب لإيلخانات فرس ، ولكني رجعت كتابي القديم (ص ٢١٤) فوجدتها لابن عربشاه كما ذكرت في مقالي ، وأنه ظهر لي أن كتابي هو أصلا «بلاغة العرب» في القرن العشرين ، وهو عين الرجع الذي رجع إليه الأستاذ عزيز وصفت ، وفي هذا ما يحسن ، ولعل تفسير ذلك التناقض في اختلاف الطبعات ، فالنسخة التي جئ بذي قديمة ولعلها من أول طبعة ، وهي على الأرجح أصح ، ولقد أعني أن لا قيت الأستاذ عيسى [illegible] نسخة «بلاغة العرب» في [illegible] نسخة «الترنيمة» فأخبرني [illegible] ويوعدني أن يخبرنا من الحلة التي [illegible] «الترنيمة» وهي إحدى الحلات التي صدرها الحالية العربية بأمريكا .

وأما تأكيد الأستاذ عزيز وصفت إحساسه الفني والترنيمة طويلة لم أذكر منها إلا الأبيات الستة الأولى ، وقد راعني ما أثاره مقالي عن الحس في الأدب من جدل ، ولكني لا زلت عندما أومن به ، وأنا مما لا أدعي أني قلب صلد لا يستشعر الحنان ، وأنا فقير كفيري إلى الكثير من الرحمة ، عن الأمل رحمة لله . ومع ذلك أرفض القول بأن أدب الهجر صحيح مقبول أن إذن تجد فيه النفس ؟ أن تجد الشعر على الانفعال ؟ أن تجد تجاوب القلب ووسوس العقول ؟ أن تجد بعض الحياة ؟ ليست القوة متكاملة ، ليست القوة سواء ، كانها قوة ليست خالقا إبداعيا .

قالوا إن الصدق في الأدب هو مقياسه الوحيد ، وهذا قول سائغ . الأدب أعمق من الصدق . الأدب ليس تصويرا للواقع ولا انعكاسا لأصداء الحياة . الأدب خلق للصدق .

ولنا نستمر في تحليل «الترنيمة» ، يقول الشاعر :

ظلام الليل قد أطلا ... تموجا تحسب الطرفا
لا الطفل لا يعلم ... أمس الهجوم أطلا

والشطر فيه يحمل البيت الأول من صدق رأه طارئا عنده ، وذلك لما هو واضح من أن ظلام الليل لا يعلو الهجوم بل يزيدها تلألأ ، ومع ذلك أي صدق أمسى في ذلك البيت الرائع . وهذا رجل نشر الحزن عنده ظلاما لم يلبث أن يغشى بصره ، فيهجوه أي تلألأ دون أن يرى لها مرجعا :

من الأحلام لا أدري ... سوى أشوهة الصور
أفيها من القمر ... تطفل بات خوفا ما
[illegible] ... إنهم يسمون الأشياء
[illegible] ... يقتل الشاعر «من
[illegible] ... ولكن من ما لا يحس بأن هذا
القمر ليس بأسا وإنما هو استجمام للروح . من ما لا يحس
بنفس الشاعر الغاية متجمدة ، ينقب هذا القمر الإنساني
من ما لا يحس بنار تقد ، فلا بد أنه على ما ألقى من
مشقات ليس الأدب الفاظا . الأدب روح لا أدري من
أين تطالعك ، روح لا تدركها إلا الأرواح .

ملاك الزب في الحلم ... يداعب الطفل الأم
يساوره من السحر ... ألا تم ، وقفنا حالا

قلت فيما سبق إن شعراء الهجر يصدرون عن قلب فيه لفظة إلى الله ، ولم أنني قلت إنهم متصوفون لا يدورون الحق ، فالتصوف ليس إلا رقة في الإحساس ، كل شعور قوي تصوف مهما كان موضوع ذلك الشعور ، ولهذا نرى الناس يقتلون في غير مقتل حول تصوف شاعر كالجيام ، أالذي هو أم روحي ، وهل هو عبد خمر الشاب أم خمر

الروح ؟ والأمر بعد سواء . الحياة روح حارة . وكذلك الأمر عند شعراء المهجر . أين منهم فخر أغلب شعرائنا ؟ أين منهم فقرنا الروحي ؟ أين منهم ضعف نفوسنا ؟ أين منهم تفاهة الخلق ؟ أنظر إلى شاعرنا كيف يجمع بين القيم الإنسانية في ملاك الزر . الذي يناجي الطفل كالأم . أليس حنان الأم نفساً من روح الله ؟ وهذا النداء ، ألا نعم ! وقد حانا ؟ أليس التعبير مباشراً قريباً قوياً . أو ما تراه يشبه الهمس . الفن الحقيقي وهؤلاء الشعراء يعرفون كيف يختارون التفاصيل الدالة المنبئة عن نبضها الإنساني .

يناجيه بأيام سيأتي عهدها طاهر
يروي ماؤها الظامي وتنفي النور عميان

وفي شقاء النور للعميان ما يزيد قوتنا لإطلاق طاقة الليل لنجوم السماء ، ثم ما القول في هذا الأول الطاهر ، عجيب أمر هؤلاء الشعراء . يبتسمون للأمل ، ويمنح ذلك نهراً لابتسامتهم . وكأني بها تبعث الحياة [illegible] بعد ابتسامة تشرق وسط الظلام . [illegible] أولا ترى معي شاعراً وهو يشد [illegible] سعيدة ، إنني أحس بالجهد في تلك الأشعار الرائعة ، وبعد ذلك يقول قائل : إن أدبهم ضعيف ، وإننا في حاجة إلى أدب طروب قوي ، ومن يستطيع أن يدلني على قوة أصدق من الطرب ، الطرب شيء متبدل لم نر قط جاءه لأدب قوي ، وهو بعد لا يحرك النفوس ، الأدب عزاء عن الحياة ، والعزاء قوة . الشعر في العالم كله ضيف بالحياة وعلاج لها ، ولكنه ليس يأساً ، فاليأس مرض ، وموضوع الإيجاز هو أن تدعك ذلك الضيق إلى تتبع الوجود ، هو أن تشفي الشكوى من الألم .

ثم يقول بعد ذلك بأبيات :

أصوتي ذاك قد شفى أطلبي ذاك قد أتى ؟
كفى دنا[1] كفى حزناً قلب الطفل ما لانا

هزة الريح ما يجمع وتذب الروح ما أتجع
كلانا منصت يستمع إلى الأصوات جيرانا
ظلام الليل قد أطبق نم يا طفل لا تقلق
يعود النور والرونق إذا ما الله أبقانا

هذا هو الهمس الذي لا أدري كيف يتهم بالضعف ، وأنا بعد أحس فيه قوة لا أجدها في نفوس معظم شعراء الغناء . والأمر ليس من التساق تفسيره ، فنحن قوم نصدق بالأرض . قوم يؤثرون الاستكانة على المغامرة . لقد خلوقت في الكثير من نفاع الأرض ، فرأيت مصرياً يجالد عزيزاً على الحياة ، وعدت إلى مصر ودرت بمصري فلم أر إلا مطلوباً خاضعاً لطالبه ، أو مثالاً يخشى أن يشكو ألمه . ورأيت [illegible] في كل مكان . أرى رجالاً تلبس الشبه بالرجال . [illegible] القوة ؟ نحن قوم لا يعسر أحدنا أن يرفع بصره إلى من يعلوه أو يرى منه ، فكيف بنا نحدق في الحياة [illegible]

نحن قوم [illegible] بفنون النفاق الاجتماعي فصيلة . [illegible] الشعب بالنساء ، وقد قضت حياتنا الاجتماعية بإزال المرأة بنفوسنا ، ولهذا نرى غرائزنا فاسدة . إذا غرائزنا جاء غرائزنا إما إنتفاقاً في الخضوع وإما «طرطشة» في العاطفة . قوم تعوزهم القوة المتماسكة .

نحن قوم كثيرو الادعاء عن جهل . لكاذب الغربيين وندعي المخازي الغريبة الباطلة ، ونزج بالقومية وما إليها لنغطي جهلنا المريع . من من أدبائنا أو شعرائنا يعرف أن من واجب الأدب أن يكون متفقاً ثقافة منظمة عميقة مهضومة ؟ من منهم يدرك أن الأدب ليس خلقاً من العدم !

عند بعض الأمراض النفسية التي تفسد أدبنا ، ولهذا أوثر شعر المهجر ، وقد ملت إيثاري على ذلك الشعر من جهتي ، وحاولت ما استطعت أن أوضح معنى ذلك الهمس ، فقال البعض إني أنصب لنوع من الأدب

(١) كنت أود ألا يستخدم الشاعر هذا اللفظ لما يتوجه من تمازج في الخواطر ، وشكن ، فلطأه لا يبعد من روح القصيدة العامة .

سيرة صلاح الدين :

— ٧ —

جفاء

«وخرج صلاح الدين من بساتين الدولة الفاطمية وحل مصر زمارة عيانية . ثم أصبح وجها لوجه أمام صعوبات كبيرة كان من أولاها هذا الثور الذي ظهرت آثاره قوية بين وجهه ونور الدين »

قال الأمير للشيخ لابنه السلطان : « أتدري يا ولدي منذ كم تغير عليك قلب نور الدين ؟ » .

قال السلطان : « أحسب أن ذلك يا أبي منذ أقدمت على أن أكون وزيرا للعاضد الفاطمي ، وأبيت حسنة الوزارة قبل أن يأتيني من نور الدين إذن بقبولها » .

قال الشيخ : « هو ذلك يا ولدي . [illegible] ولكن مبلك الذي في قلبه ، والحذر من أن [illegible] بمصر لا يقوم بحروبهم ، وأما إرضاء الخليفة المصري بتنقل [illegible] »

قال السلطان : « والله يا أبي — لقد صبرت منه على حر الندى ووخز الإبر ! وما قدر أحد من أصحابه حتى الساعة أن يجد علي ما يعتبره ذنبا ! وقد اختبأ هو نفسه أن يجد لي هفوة يعتدها علي فلم يقدر ، ولقد كان يعتمد في مخاطباتي ومراسلاتي على الأشياء التي لا يصبر أحد على مثلها لعلي أتضجر أو أتغير فيكون ذلك وسيلة له إلى مناجزتي فيما أباشره من أمره »

— « لعرفنا فعلت يا ولدي ، ولهذا ما نصحت لك به دائما فلتكن رهن عهده التي لسنكها وتصر على اتباعها » .

— « ذلك ما فكرت فيه من جهة نور الدين ، وإني لأفكر أيضا في غير نور الدين ممن أخافهم على نفسي ... »

— « ومن هم أولاء يا ولدي حتى أعيدك عليهم » .

— « هم إخوتي يا أبي ، إذ يطردون إلى اليمن التي [illegible] وأنا أخشى عليهم من [illegible] أن يقوم بحروبهم ، وأنا [illegible] لا [illegible] حتى يخرج بعد خيرها عليهم ،

يستجيب له مزاجي الخاص ، ولكن الأمر ليس أمر نصب ، كما أنه ليس ضيقا في النفس بمنعها من الإصغاء لغيره من أنواع الأدب ، وإنما هو إيمان بروح إنسانية قوية أحسها في نفثات تلك الأدب ، روح أفقنا موحية ، ومن عجب أن نقول إن الشعر الخطابي إذا خلا من موسيقى اللفظ وقوة النفس اللذين تجدهما عند المتنبي في الشرق ، وهيجو في الغرب مثلا أصبت الخطابة الشعر ، ثم يأتي من يقول إننا لا نطرب لشعر المتنبي ، يخيل إلى أنه من العجز أن نعبر الحس بأنه « القدرة على الإيحاء » ، فالشاعر الذي ينجح في أن يهزك هو الشاعر المطلق ، وهو قد يستطيع ذلك بمقدمة موسيقاه كما قد يستطيعه رقتها ، وأما أولئك الذين تقرأ لهم فلا يلبثون منك حتى ، ولا يهز قلب ، فلست أدري من أين يأتيهم الشعر ، لقد تصفحت مثلا « أعاصير مغرب » فعجبت لمن يجرؤون على تسميتها شعرا ، وهي تجربة في [illegible] تجربة في أسلوبها تجربة في روحها ، وتجربتها هذه متبذلة سمجة ، حتى الإحساس فيها شيء لا تطمئن إليه النفس ، شيء [illegible] .

الأدب الجيد لا بد أن يلونه الإحساس ؟ وصاحب « أعاصير مغرب » من الكتاب الذين قد تهزك مهازيهم المتقلبة في التعبير ، ولكني لا أذكر إلا في النادر الذي لا يذكر أنه قد استطاع يوما أن يحرك في نفسي إحساسا فكيف له بقول الشعر ؟ وكيف يجوز لنا أن نقارن شعرا « كالأعاصير » ونحوها بشعر الهجر الحي ؟

أنا لا أريد أن أملي رأيي على أحد ، ولكنني أحاول أن أتصدى بالقيم الإنسانية ، التي يجب أن يتجه إليها أدبنا إذا أردنا أن نطحن بغيرنا بدلا من الجمود على الباطل الذي نحن فيه ؟

محمد منصور

وتكون مع ذلك ردءاً لنا إذا فكر نور الدين في مهاجمتنا في الديار المصرية ليمنعنا منها أنفة » .

— « ونعم هذا الرأي أيضاً ، فما الذي تم في أمر هذه الفتوح التي يقوم بها إخوتك ؟ » .

— « هذا أخي شمس الدولة قد أوفدت له في دخول (النوبة) فاتحاً ، فإذا لم يجد بها شيئاً نافعاً عاد وطلب أن يسير لفتح (اليمن) ، فأذنت له في ذلك ، وعساه يذهب إلى هناك ويقتل الخارجي الذي ظهر بتلك البلاد ، وقد بلغ من عتو هذا الخارجي أن دعا الناس بها إلى غير أبيه بعد إذ حمل عليه فيه من وهب وعطاء كثيرة ، وحمل الناس على حجه والانصراف من مكة » .

— « إنه من غير شك ، غير أنني أشفق من هذه الفئة التي أوجدتها الله ملكاً وأن لنا [illegible] في القصر الفاطمي لا تنفصل فيه [illegible] لا تتناسلون ، ألا فكرت أيضاً [illegible] موطنها الأول ، في بلاد المغرب [illegible] » .

— « هذا ما فكرت فيه [illegible] عليه الخادم بهاء الدين قراقوش وهو جندي باسل ، وفارس غيور يتصف بالأمانة . ألا ترى مقدرته في صيانة القصر الفاطمي منذ تسلمه إذ لم يدع شيئاً يخرج منه أو يدخل فيه إلا بإذنه » .

— « ولكن كيف السبيل إلى تحقيق هذه الآمال . ومولاك نور الدين بالشام لا يرضى عن هذه الفتوح التي تشغل بها عساكرك الآن ترى فيها إضاعة للوقت وتبديداً للمال واجهاداً للثروة الذين عليهم أن يجدوا لمقسهم غارة الفرنج في هذه الجهة التي تفصل الآن بينك وبينه — وهي جهة (الكرك والشوبك) . وقد بات هؤلاء الفرنج لا يختشون إلا حرب الترك ولا تقتصر حشودهم إلا من بقاعهم في مواطن القتال » .

وكان القاضي الفاضل دخل منذ برهة صحت له بأن يسمع طرفاً من هذا الحديث فقال :

— « فأذن لي المولى أن أقول في هذه المسألة الأخيرة رأياً أجرته في ذهني منذ أيام » .

قال الشيخ : « قل يا عبد الرحيم » .

قال : « أليس الرأي عندي يا مولاي أن نبقي نور الدين في مطاردة الصليبيين الذين يحتلون المنطقة التي تفصل الآن بيننا وبينه ، فهي وإن كانت في أيدي أولئك الكفرة الظالمين ، فهي في يد طائفة منهم هم (الرافضة)[1] المعروف بإبادة الصليبي ، إلا أنها يا مولاي بحاجة الضبع الذي يصدمنا الآن من شر نور الدين ، ويحملنا في مأمن منه حتى نمد أمورنا ونشد أعضادنا ونكون بحيث لا يستطيع أن يهجم علينا من دار [illegible] ، أو لأنه يريد أن يخلو [illegible] لا يجسر [illegible] منيته » .

قال الشيخ : « وما رأي عندك إذن أن تبقى هذه المنطقة [illegible] » .

[illegible] ليس المصلحة الآن في أن نخلي [illegible] » .

فالتفت الأمير الشيخ للسلطان وقال : « وأنت يا صلاح الدين — ما الذي تراه في هذه المشكلة ؟ » .

فسكت السلطان برهة قصيرة ثم قال : « ... مسألة يجب فيها صلاح الدين القائد الكردي السياسي إجابة لا يرضى فيها صلاح الدين الشيخ القدوس ... ؟! » .

فابتسم « الشيخ الباسلة » برهة ونظر إلى الأمير نظرة فيها عبر كثيرة من التجارب ثم قال : « الآن حين تقدم لك العمر واستحكمت ... ؟! — قل لنا ما الذي تعنيه بكل ذلك ؟ » . قال السلطان :

« المشكلة كلها في رأي الفاضل . فالسياسة هي التي أملت عليه هذا الرأي الحكيم ، والسياسة هي التي قد تحملنا على مخالفة نور الدين . وأنا أرى أن الفائدة لا تتمثل

(١) [illegible] في الكتب الأوروبية .

والغرض الذي جئنا من أجله إلى مصر » . وهنا أطرق الشيخ طويلا كأنما يدبر هذا الرأي في ذهنه وزنه بميزان عقله ثم رفع رأسه وقال : « وأنا أيضا قد حالني مدبني هذا الرأي .

قال السلطان « وما قول يا عبد الرحيم في هذه الفتوح التي أشغل بها إخوتي ليكسبوا لأنفسهم الشهرة في ميدان الجهاد ، والمال الذي يقوم بمؤونتهم في تلك البلاد ؟ »

قال الفاضل « ألله هذا الرأي يا مولاي أنه يستنفد جميع ما تملك من المال ، وصاحب الشام ينتظر فيما يختاره منا أن نقرر له مالاً نحمله إليه ليستعين به على كفاح الجهاد الذي وهب حياته له » .

قال السلطان « فإنما قد جئنا له بهدية من دمشق القصر الفاطمي ، وما أكثر هذه النفائس التي هي بيننا أغنها ، ورأيت أنا أهدها إلى الطاهر بها ، أدين وجوب أن يعدها فأعدها وبالغ في إعدادها وكتب رسالة (الرسالة) التي صارت بالهدية إلى صاحب الشام [illegible]

قال الشيخ « جميل كل ذلك [illegible] أعلم من أخلاق نور الدين أن هذه الهدية على عظمها لن تسره وأنه . . . »

وأراد الشيخ أن يتم كلامه لولا أن لمح في تلك اللحظة رسول أتى من قبل نور الدين ويحمله رسالة إلى صلاح الدين ، يأمره فيها أن يجمع العساكر المصرية ويسير بهم إلى بلاد الفرنج وينزل على (الكرك والشوبك) ويحاصرهما ريثما يجمع هو عساكره ويسير إليهما ، ثم يحتمان هذان على محاربة الفرنج والاستيلاء منهم على هذه المنطقة التي تفصل بينهما وتقف حجز عثرة دون الغاية التي يعملان لها وهي مطاردة الفرنج .

وقرأ السلطان الرسالة التي بعث بها نور الدين ، ثم دفع بها إلى أبيه ليقرأها وقرأها معه عبد الرحيم . ونظر الثلاثة كل إلى الآخر نظرات سريعة ، وسكتوا سكوتا حزينا ، حالت أن قطعه عليهم الأمير نجم الدين بقوله يخاطب الرسول :

« وما بال الهدية التي بعث بها صلاح الدين إلى مولاي العظام ؟ » .

قال الرسول : « أكبر الظن عندي أنها يا مولاي لم تقع منه موقع » .

قال الشيخ : « لعلها ملأ القلب ؟ ولم ذلك ؟ »

قال الرسول : « بينا أصحاب مولاي نور الدين يطيلون النظر في هدية السلطان الملك الناصر صلاح الدين ، ويظهرون إعجابهم بها ، ويجيلون خاطر الفكر الذي حوى الكثير من أمثالها ، إذ بمولاي نور الدين يخاطب عبد [illegible] صدر الدين معه ويقول : ما أحقنا الذهب في [illegible] مصر وما إلى الذهب حاجة ، ثم تمثل قول أبي تمام : [illegible] الذهب الصارف بكثرته [illegible] الحصى به فقرا إلى الذهب [illegible] الرسول بالإعادة وبعد بجزى عنه [illegible]

« قل لمولاي نور الدين إني لن أتأخر عن الذهاب بالجند إلى الكرك » .

فرجع الرسول إليه بنقله كل ذلك . فرجل نور الدين من دمشق إلى الكرك وأقام ينتظر صلاح الدين ، فأتاه كتابه يعتذر فيه عن الوصول ، وذلك لاختلال البلاد ، ورغبة أهلها في الثورة على النظام . وأتى الكتاب نور الدين فقضى لذلك غضباً دهب بكل حلمه ، وشق ذلك على عبد الرحيم ، وعزم على دخول مصر وإخراج السلطان منها .

وبلغ الخبر صلاح الدين فجمع أخيه وعمه وكبار وحاله ثبات الدين واستشارهم ، فكلهم أشار عليه بالصمت والصبر ، ثم قام من بينهم فارس شاب حاد الطبع ، هو ابن أخي السلطان واسمه (تقي الدين عمر) فقال :

« مالنا نخاف نور الدين — وهو إذا جاءنا قاتلناه وصددناه عن بلادنا بسيوفنا هذه » .

فوقع هذا الكلام موقعاً حسناً من نفس السلطان وهم أن يظهر الرضى به وأحب أن يتكلم في ذلك لولا أن سبقه أبوه بقوله يخاطب نجم الدين عمر :

« اقعد أيها الصبي الأرق ، اقعد أيها الشاب الطائش ، ليتما تشير به . ألهذه الغاية تأكل مال المسلمين ؟ ولهذه الغاية أمرنا عليكم نور الدين ؟ »

ثم اتجه إلى السلطان وقال له :

« أنا أبوك وهذا شهاب الدين خالك — أتظن في هؤلاء كلهم من يحبك ويريد لك الخير مثلنا ؟ قال : لا . قال نجم الدين :

« فوالله لو رأيت أنا أو رأى خالك نور الدين قاوماً ما استطعنا إلا أن نرجل إليه ، ونقبل الأرض بين يديه ، ولو أمرنا بضرب عنقك بالسيف لفعلنا . ولذا كنا نحن هكذا — فكيف يكون غيرنا ؟ ولكن [illegible] الأمراء والعساكر لو رأى نور الدين وجهه لم يتمالكوا [illegible] الثبات على سرجه ، ولا وسعه إلا النزول وتقبيل الأرض بين يديه . وإنما هذه البلاد له ، وقد أقامك فيها ، فإن شاء عزلك ، ثم لا يحتاج إلى الغزو هنا لهذه الغاية ، يأمرك بكتاب مع نجاب (رسول) حتى تقصد خدمته وتولى البلاد بعده من يريد » . ثم التفت كذلك القائد الشيخ إلى الجند وقال : « واسمعوا جميعاً أيها الجند — نحن مماليك نور الدين وعبيده ، وليفعل بنا ما يريد ، إن شاء بقينا في مصر ، وإن شاء نزلنا على رأيه وخرجنا من مصر ، ونحن هنا جنوده وأتباعه . باسمه فتحنا ما فتحنا ، وباسمه نفتح كل بلد نريد بعد أن نفتحه » .

وخرق الجند بعد ذلك ، وكتب أكثرهم إلى نور الدين بمعنى كل ذلك ، ثم خلا الشيخ بابنه وقال له :

أنت يا ولدي جاهل قليل المعرفة ، تجمع هذا الجمع العظيم وتطلعهم على ما في نفسك . فإذا سمع نور الدين أنك عازم على منعه من البلاد ، جمعك فرضه الذي يرمي إليه ، ولو قصدك لم تر معك من هذا العسكر أحداً ، بل تراهم جميعاً ينضمون إليه . وأما الآن — بعد هذا المجلس — فسيكتب إليه أكثرهم ويعرفونه قولك . وتكتب له أنت أيضاً وترسل في هذا المعنى وتقول له :

« أي حاجة إلى قصدي أيها المولى ، يجيء نجاب بأخذي محمل بضعه في عنق ، ويأتي بي إليك ، فهو إذا سمع هذا منك عدل عن قصدك واشتغل بسواك » .

قال السلطان « صدقت يا أبي ، وكنت من الناصحين ، إني من أجل هذا أفكر في الذهاب بنفسي إلى الكرك ، فإذا وصلت إلى هناك بعث أنت في طلبي بحجة اختلال البلاد » . قال الشيخ « فاذهب على بركة الله » .

وذهب السلطان إلى ذلك المكان ، وعزم مولاه بهذه العزائم التي [illegible] السلطان بها من نفسه نهمة العصيان ، ثم [illegible] إلى بلاده ، وإنه لفي الطريق إليها [illegible] منها ، فيه بما عظمت به نومته ، واشتدت كما يقول الفاضل به حسرته وروعته ، ذلك النبأ هو موت أبيه نجم الدين بسبب وقوعه عن فرس له كان يركبه في أثناء لعب الكرة . فأخذ الفاضل يهون على صاحبه هذا المصاب العظيم ، ويقطع الطريق بحديثه له من الصبر والصابرين ، ويتأسى معه بقول الذي يقول :

وتخطفته يد الردى في غيابتي
فحتى حضرتُ فكنت ماذا أصنع ؟!

وذلك حتى دخلا مصر . وبينا هو طارق في هذه الأحزان ، وبينا هو خائف في الوقت نفسه من مداهمة صاحب الشام ، إذ به يسمع بموت هذا الرجل أيضاً ، فيحزن عليه ، ولكن يشعر في قرارة نفسه أن حزنه لموت نور الدين قد خفف شيئاً كثيراً من لوعته على أبيه نجم الدين ، وأزاح ضيقاً عن صدره كاد يقتله ويودي بمستقبله ... ؟ !

سيرة أحمد بن طولون

في دار الكتب الظاهرية بدمشق طائفة من الكتب المخطوطة النادرة يجب العناية بأمرها، وإعداد العدة لنشرها بين الناس محافظة على ذلك التراث العظيم الذي خلفه لنا الأقدمون، ورغبة في إذاعة ما فيها من الفوائد العلمية، والعارف الأدبية التي تعرضت بذكرها، ومن تلك الكتب النفيسة التي حفلت بها المكتبة الظاهرية كتاب سيرة أحمد ابن طولون لأبي محمد عبد الله بن محمد المسكوي، الذي يجري بنشره الأستاذ العلامة محمد كرد علي بك لأن في نشره إحياء مادة جديدة في تاريخ مصر والشام، ولوناً طريفاً من أدب عصره الجميل فيه حلاوة وطلاوة، ولأن فيه أمثلة فصيحة ومعربة في شؤون الحياة كانت مألوفة في زمن المؤلف، ونحن في حاجة إليها اليوم! وفيه حكايات من قصص واقعية تدل على كياسة ابن طولون وسياسته، وتسلية القارئ من حكمته وحنكته، فيما يتعلق بالنفس وسلوكه، وصورة صادقة من صور ذلك المجتمع. وقد أنفق الأستاذ جهداً كبيراً في تحقيق هذا الكتاب لا يدرك كنهه إلا من رج بنفسه في هذا الغمار، ورأى من عنائه في رحلته إلى أصله أن المخطوطة لا تظهر لها يمكن أن تقابل عليه، وهي مع ذلك عارية من النقط، قد عاثت فيها الأرضة، وأصابها بلل طمس بعض كلماتها. ولكن ذهن الأستاذ الثاقب، وعلمه الواسع وخبرته الدائبة قد أعانه على حل معمياتها، وفك رموزها، وكشف له عن كثير من أوجه الخطإ، وألوان التحريف حتى خرج الكتاب في ثوبه الصورة البديعة أقرب ما يكون من الأصل، وأدنى ما يكون من الصواب، وقد أحسن الأستاذ صنعاً في كتابة الهوامش التي ذيل بها بعض الصفحات ليتم بها ما فات المؤلف من أنباء ابن طولون. وكذلك أحسن كل الإحسان في وضع الفهارس للقصص والفصول تدل عليها، وترشد إلى مضمونها، والكتاب من أجمع الكتب التي تجمع بين الأدب والتاريخ والاجتماع، وتكشف عن حياة عظيم من عظماء [illegible] المسلمين الذين كونوا أنفسهم بأنفسهم، [illegible] إليه كل سبيل حتى بلغوا ما رغبوا فيه، وحلموا له، ومكنوا لسلطانهم في الأرض، ولذكرهم في التاريخ. وقد سلك المؤلف في تأليفه طريقة جيلة لذ

أما المسلمون فجزعوا جزعاً لموت هذا البطل، وضجوا بالدعاء له أن يجزيه الله خير ما عمل، ولهجوا ومثل بذكر هذه القصة التي شاعت بينهم على أنها آية حمه للجهاد الديني وهي:

«أنه لما نزل الفرنج دمياط في الحصار الذي قال فيه نور الدين محمود: إني لأستحي أن يراني الله منتصراً والمسلمون محاصرون بالفرنج. ثم في الليلة التي رحل الفرنج فيها عن دمياط رأى إمام نور الدين محمود في منامه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: أخبر نور الدين أن الفرنج رحلوا عن دمياط في هذه الليلة. فقال يا رسول الله ربما لا يصدقني، فأذكر له علامة يعرفها، فقال له النبي: قل له علامة ما سجدت على تل عارم وقلت اللهم انصر دينك ولا تنصر محمودا، ومن هو محمود الكلب حتى تنصره؟ قال الإمام فانتبهت من نومي ونزلت إلى المسجد، وكان من عادة نور الدين أن ينزل إليه متنكراً، ولا يزال يتهجد فيه حتى يطلع الصبح قال: فتعرضت له فسألني عن أمري، فأخبرته بالمنام وذكرت له العلامة إلا أنني لم أذكر لفظة الكلب. فقال نور الدين محمود: اذكر العلامة كلها. وألح علي في ذلك. فقلتها فبكى رحمه الله رحمة واسعة وصدق الرؤيا».

فأرخت تلك الليلة جاء الخبر برحيل الفرنج عنها!

عبد اللطيف حمزة

الذوق ، وترضى القلب ، وتروق العقل ، وتشوق النفس إلى المضي في قراءة الكتاب حتى تفرغ منه . يروي المؤلف الخبر بسنده القصير على نحو ما كان يصنع الرواة في القرون الأولى ، ولا يتوارى خلف روايته بل يطالعك بشخصه ، ويصارحك برأيه ، ويصف لك شعوره أحياناً ، وقد يحلل ما يروي ، ويعلل ما يقص في بعض الأحايين ، وهو مولع بتنسيق الأخبار ، وترتيب الأبواب ، كل ذلك بأسلوب سهل يسير لا تصنع فيه ولا تكلف . وقد ساعده أسلوبه العذب ورغبته في الإطناب ، وتحبه للتفوق على من سبقه على رسم صورة جميلة لابن طولون ، لا أظن أن شاكا من الحكام قد ظفر بمثلها على كثرة الصور ، وتعدد السير التي صنعت لهم ، ومرد ذلك فيما أرى إلى ابن طولون نفسه وما كان عليه من فطنة وذكاء . فقد حدثنا السلوي في مواضع شتى من كتابه أنه كان يستكتب كتاباً يسميهم « كتاب السر » وأنه أوصى أحدهم [illegible] صاحب خبر على الفاطمي ، فانظر كل ما يجري بين [illegible] من تخاطبني من صغير وكبير ، فما كان [illegible] ومخاطبي إياه وجوابه لي ، وأعرضه عليّ بالمشي ، وأن كتابه كانوا يرجون هذا أشد الرغبة .

ونقل أيضاً حديثاً طويلاً جرى بين أحد أصحاب ابن طولون ، وبين بعض العلماء وأن هذا الصاحب لما حدث بما جرى قيل له : كيف حفظت هذا الكلام ؟ فقال كان كاتب السر يكتب كل ما يجري ولا يسقط من ذلك شيئاً فسألت أحمد بن طولون أن يأمر الكتاب بأن يطلق لي نسخة فأمره بذلك . وكان هؤلاء الكتاب في داخل القصر وفي خارجه يكتبون كل صغيرة وكبيرة ، ويرفعونها إليه . ومن ثم كان هذا الكتاب كأنه طائفة من التقارير والمذكرات التي كتبت في وقتها ، ويرجع الفضل في حفظها إلى أحمد بن يوسف كاتب الدولة الطولونية وأول مؤلف لسيرتها . وقد اعتمد السلوي على ما كتبه أحمد بن يوسف وزاد عليه طائفة من الرسائل والوثائق والأنباء عن مرض ابن طولون وأيامه الأخيرة . وفصل القول في نشأته وأخبار حروبه وما كان بينه وبين ولده العباس وغلامه لؤلؤ . وذكر كل طائفة من أنباء ذكائه ، ودقة ملاحظته ، وقوة فراسته وحسن سياسته وعدله ورحمته ، ومفاخره ومكارمه إلى غير ذلك من الصفات والميزات التي خلعها على ابن طولون . وإن أخذ على المؤلف شيء فهو هذا الغلو في الدفاع عن مساوىء ابن طولون ، ومحاولته تبرير أعماله السيئة التي ارتكبها في خطط وإفراط . ويؤخذ على المؤلف أيضاً أنه أسرف في ذكر القصص الغريبة ، والحوادث العجيبة التي يستحيل على العقل تصديقها ، ويصعب على الفكر قبولها ، والتي إن أرضت الفن فلن [illegible] ، وإن [illegible] بإعجاب الأدباء فلن تظفر بتأييد المؤرخين . وما أشك مطلقاً في أن تلك الأنباء قد اخترعها [illegible] التاريخ . وليس ذلك بمستبعد على رجل [illegible] . فقد الرحال أنه صنع « رحلة الشافعي » [illegible] التشويق والتطويل ، وأيّاً ما كان الأمر فالكتاب جدير بالتقدير لأن فيه حقاً كثيراً ، وأدباً عظيماً ، وأيسر ما يقال فيه : إنه من أهم مصادر الأدب والتاريخ المصري التي تنير تلك الفترة من تاريخنا المجهول . وهناك بعض ملاحظات عنّت لي أثناء قراءتي السريعة لهذا الكتاب أحب أن أنبه عليها رغبة في تصحيح الكتاب ، ومساهمة في رجعه إلى أصله ، وبذلك أكون قد أديت بعض واجبي كقارىء يتيم حينا من الزمان بقراءة هذا الكتاب الطريف .

١ — فمن ذلك ما جاء في ص ٧٦ : « فلما أمعن في الصحراء ساخت في الأرض يد فرس بعض غلمانه فسقط الغلام فوقف عليه أحمد بن طولون وأخرجت يد الفرس فنظر فإذا بفتق فلتح وأصاب من المال ما كان مقداره ألف ألف دينار ، وهو الطالب الذي شاع خبره »

والصواب إذاً بغى .

٢ — وفي ص ٩٦ : « الخارب بنفسه سافة حزبا شديدة بانت فيها رجرانه وجزالته » ولا معنى لوصف الجزالة هنا ، والصواب وجرانه .

٣ — وفي ص ١٢٠ « وقدم بين يديه صينية فيها كوز ماء ، وقدح نصيف ، وجعل بين يدي الجارية صينية فيها قدح لطيف » وصواب نصيف : « طيف » حتى تكون هناك مشاكلة بين طيف ولطيف .

٤ — وفي ص ١٤٢ « سمع له ذكر كاب شاهده لجف على قلبه وافترس وجه خيره » والصواب : تحرّس .

٥ — وفي ص ١٨٧ « فدعاني يوماً وقال لي : أتعرف إماماً يصلي بالمنامة في موضع كذا فقلت له : نعم أنا أعرف المسجد وما أعرف الرجل » وقد ظن الأستاذ أن كلمة « المنامة » محرفة وقال : كذا في الأصل وأملها « الشاحة » وللأستاذ العذر في هذا الظن فإن « المنامة » لفظة مصرية أصيلة تعني « الفسحة » وهي لا تزال [illegible] الاستعمال في هذه الأيام . وبعد [illegible] ذكر [illegible] على بنائه على عنايته بنشر هذا [illegible] وتعده هدية كريمة من الشام إلى مصر [illegible] .

وإني بهذه المناسبة أقترح على الأستاذ أن يحدثنا عن دار المخطوطات في الشام . وإن كان هذا الحديث منها مفيداً وممتعاً في كل وقت فهو في هذه الأيام التي يستحيل فيها النشر إغلاء الورق أعظم فائدة وأكثر إمتاعاً !

السيد أحمد صقر

قصيدة الشابي

جاءنا من أحد الشرقيين كلمة ينفي فيها أنه بعث بالقصيدة المحجة ، ويقول : « فأنا لم أبعث بشيء كهذا إلى المجلة ، وما كان لي أن يفكر في اقتراف ذلك الإثم الأدبي المشين .. وما حاجتي إلى ادعاء قصيدة مشهورة لشاعر معروف طوته يد الردى ، فأصبح في ذمة التاريخ ، وله من الحرمة ما للتاريخ ؟ ... ما حاجتي إلى ادعاء هذه القصيدة ، وليس قول الشعر مهنتي وغايتي ، وإن كنت قد قلت ما يقرب من سبع قصائد ، نشرت في السياسة الأسبوعية والصباح والإسلام ؟ ... ثم كيف لي بادعاء هذه القصيدة ، وقد تناولتها بالتحليل والثناء في إحدى محاضراتي بكلية اللغة العربية ، وقد حضرها مئات ومئات من شباب الأدباء ؟ » .

صدى الوحدة

آهةٌ حرى بأرجاء الدجى ... رددت أصداؤها في خفق
أشرب الحزنَ كؤوساً كلما ... أفرغت أرضعتها من أرق
صوتٌ من كل صوب لهمٌ ... لست أدري أيّ منهم أنتي ؟
كل آمالي ثلاثتْ مثلما ... يتلاشى النورُ عند الغسق
وتساوى الليل عندي والضحى ... ربه ليل لخمره لم يفق
جحد الدهرُ هوىً بالمنى ... من هموم أوقدت لي حرق
أغرقت صبحي وحمّت مغتبق ... أغرقت صبحي وحمّت مغتبق
[illegible] ... أبصر النورَ بحرس الشفق
[illegible] ... يتوارى في ظلال الأفق
[illegible] ... صوت الأفراح في قلب شقي

(بغداد) جميل بلوان الأديب — بلند الحيدري

صاحب امتياز المجلة
رئيس لجنة التأليف والترجمة والنشر
أحمد أمين بك
رئيس التحرير المسؤول
محمد عبد الواحد خلاف
الاشتراك: ٤٥ في مصر والسودان
٥/ ٣٧ لطلبة ومعلمي الإلزام
لستة أشهر: ٦٠ في الممالك الداخلة ضمن اتحاد البريد
٧٥ في الممالك الخارجة عن اتحاد البريد
ثمن العدد ١٥ مليما

طبعت بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر — بشارع السكرية رقم ٩ — بالحلمية بمصر